

بُرْنَارْدُ لُويْسُ

أَصُولُ الْإِسْنَاعِيَّةِ وَالْفَاطِيَّةِ وَالْقَرْمُطِيَّةِ

راجعه وقدم له :

الدكتور خليل أحمد خليل

استاذ علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية

دار الحداثة

هذه ترجمة كتاب :

the Origins of Ismailism

**A study of historical Background
of the fatimia caliphate**

By Bernard Lewis (Ph. D)

الفهرس

صفحة

٩	- مقدمة - د. خليل احمد خليل -
٢٥	- مقدمة المؤلف للطبعة الانجليزية -
٢٨	- مقدمة المؤلف للطبعة العربية -
٣٠	- توطئة - نظرة في المصادر
٥٨	- اصول الاسماعيلية
٦١	- بدايات التشيع
٧٠	- صلة الخطابية والاسماعيلية
٧٨	- استقرار الامامة في درجة اسماعيل
٨٥	- استنباط اصول الاسماعيلية
٨٦	- الأئمة المستقرون والمستودعون
٨٩	- اصول السلالة الفاطمية
٩٣	- المستقرون والمستودعون
٩٩	- ميمون وعبدالله بن ميمون القداح
١١٠	- مصادر الشيعة الاثني عشرية
١١٤	- الارشادات الاسماعيلية
١١٦	- الاسطورة اليهودية
١١٩	- دندان
١٢٢	- الأئمة المستورون

١٢٣	- العلويون او المستقرون
١٢٤	- القداحون او المستودعون
١٢٦	- الدعوة - حركة الهلال الخصيب
١٢٧	- الحركة اليمانية والمغربية
١٢٩	- قرامطة البحرين
١٣٥	- العلاقات مع الفاطميين
١٤٧	- المدلول الاجتماعي للاسماعيلية
١٥٢	- التداخل المعتقدي
١٥٦	- الجماعية (الملكية الجماعية)
١٥٩	- وضع البحرين
١٦٣	- مصادر الكتاب

أَمْسُول
الإنشاعيلية والفاطمية
والقرمطية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى
كانون الثاني ١٩٨٠

« ساعة نزلت' الى الحركة

في شوارع بغداد ،

كانت الجوقات تغني

أفراح العمل الجديد »

أرتير رامبو

(اشراقات)

الامداء :

الى والديّ

مقدمة

المعارضة الثورية

■ لماذا تفتقد الشعوب ، غالبا ، تدوين تاريخ حركاتها الثورية الكبرى ؟ ولماذا حين ينشط السعي الى هذا التدوين يصطدم المؤرخ الاجتماعي والسياسي بعقبات اقلها المشبهات في المراجع ، واكثرها انعدام المراجع ذاتها ؟

مما لا شك فيه ان العرب سيخرجون الى النور ، ذات يوم ، موسوعة تاريخهم الاجتماعي ، التاريخ السلطوي والتاريخ الثوري ايضا ، تاريخ الحاكمين وتاريخ المحكومين . واذا كانت الموسوعة الاسلامية قد فتحت افقا معجميا امام الباحثين عن الحدود ، فان الباحثين عن تطور هذه الحدود ما زالوا يفتقرون ، حقا ، الى الكتابة التاريخية العلمية والنزيهة . وكتاب الاستاذ برنارد لويس : اصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية ، وهو موضوع اطروحته للدكتوراه ، هو اسهام قيم في هذه الكتابة التاريخية المنشودة . ولقد ترجم هذا الكتاب ونشر منذ ما يقارب ثلث القرن (١) ، وبالنظر الى اهميته

(١) اصول الاسماعيلية : د . برنارد لويس ، ترجمة خليل احمد جلول
وجاسم محمد الرجب ، تقديم د . عبد العزيز الدوري ، الطبعة
الاولى ١٩٤٧ . والاطروحة ظهرت بالانكليزية لأول مرة سنة ١٩٤٠ .

المتعمزة ، ومسييس الحاجة اليه، كان لا بد من اعادة نشره ، بمراجعة مقارنة بين الاصلين العربي والانكليزي قسام بها الاستاذ حكمت تلحوق ، واعادة ترتيب الفصول والفروع كما وضعها المؤلف ، وتصحيح الهفوات من تواريخ ولغة ومداخلات غير امينة ، لا سيما في الفصل الاخير من الكتاب الذي جرت تجزئته الى ثلاثة فصول بالعربية وهو فصل واحد بالانكليزية ، فأعدناه الى ما كان عليه .

ان كتاب الاستاذ لويس هو كتاب وثائقي ، بالدرجة الاولى ، ترتدي موضوعية المعلومات ومناقشة مصداقيتها الاهمية الاولى ، بل يكون هذا الامر هو الهدف الرئيسي للكتاب . وعليه فانه يصح مادة مرجعية لتدوين تاريخي علمي ورزين ، وموضوع الكتاب نفسه في غاية الخطورة والاهمية في عصرنا كما في كل عصر ، لان تاريخ المعارضة الاسلامية ربما يكون المرجع الاشمل لتاريخ الحركات الثورية عرييا واسلاميا . فبين الاسلام - الحكم والاسلام - المعارضة ، بين اسلم السلطة وسلطة الاسلام ، تنفرج اسارير التاريخ عن عدد من الحركات الاجتماعية وعن الكثرة من التغيرات الكبرى ، وتنطلق الدوائر من نقطة البيكار الاسلامي الرسمي الى نقاط اخرى تتسع دائريا كما تتسع دوائر بحيرة اثر سقوط حجر فيها .

والكتاب لا يغوص في اعماق كل الدوائر الاسلامية المعارضة الباحثة عن حرية مختلفة ، عبر سلطة اسلامية ثورية - . انما يقف عند ظاهرة التشيع الثوري داخل هذا العالم الاسلامي .

وحين الانتهاء من قراءة دقيقة لهذا التاريخ ، ينتابنا شعور عميق ، ووعي جديد ، بان للعصور الاسلامية الوسيطة، تاريخا اخر هو غير التاريخ المألوف . اي هو تاريخ المعارضة الثورية ، تاريخ

اولئك الذين طمحوا الى خريطة سياسية واعتقادية جديدة ، تاريخ اولئك الذين اصبحوا بقوى ماضوية تؤثر الموروث على المتغير : فانتسبوا الى الماضي ، وبأن واحد ، راحوا يشرحونه بمباضعهم المستقبلية .

■ ان البشر يواصلون جهودهم في سبيل استيعاب اكمل لوجودهم ولعالمهم . ومن الطبيعي ان تنشأ حركات كبرى ، في مضامير الاسلام ، كالحركات الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية وسواها ، ويحدوها الالق الانساني الساحر : الق المؤاخاة الاسلامية التي اعلنها النبي محمد (ص) ما بين الانصار والمهاجرين ، الق الحياة الجماعية ، الملكية الجماعية ، الق المساواة في الايمان والمساواة في الحياة . فما كان الاسلام ، في ظروف نشاته وتطوره ، مفتقرا الى الدوافع الثورية . ولا يبالغ المؤرخون حين يقولون : ان الاسلام هو ثورة عالمية في عصره . والحال ، حين افتقد المسلمون ، في مستوى السلطة ، ثورية اسلامهم ، سعوا بأشكال مختلفة ، نقدية واعتراضية بالطبع ، الى تأصيل ثوريتهم ، فتشيعوا من داخل الانتماء الاسلامي ، ومن داخل امكاناته الديموقراطية الواسعة ، لمذهب المساواة المطلقة بين الافراد والاجناس . هؤلاء الذين اسقط الاسلام عنهم العبودية فيما بينهم ، وجعلها محصورة بالتوحيد ، اي بالاعتقاد الاحدي (لا اله الا الله) . العودة الى الاصول الثورية الاسلامية تساعدنا ، كنفثية ، على فهم تاريخي امين لفلسفة التغير الجذري ، لفلسفة التطور ، التي كان ينشدها ائمة المعارضة الثورية . لقد شهد العالم العربي القديم سلطة اسلامية ديمقراطية مباشرة ، عرفت بسلطة الخلفاء الراشدين . وهذه السلطة المتنقلة عموما ، من السلطة النبوية ، اخذت شكل الخلافة ، او استخلاف النبي امامة (قيادة المسلمين والمؤمنين . ومن النبي الى الامام ، اخذت السلطة اشكالا قيادية - لا مجال لدرسها هنا - ، ولكن لا بد من

التنويه بظاهرة الخليفة - الامير ، التي ستتحول في العصر الاموي الى ظاهرة الخليفة - الملك ، او في العصر العباسي الخليفة - الامبراطور ، او الخليفة - السلطان في العصور العثمانية والاسلامية المختلفة . اما ظاهرة الخليفة الامام التي مثلها لزمان قصير الامام علي بن ابي طالب في السلطة الاسلامية/الحكومة الاسلامية/ ، فانها ظلت على امتداد العصور فكرة محركا لحركات اسلامية كثيرة ، منها ما هو شيعي معتدل ، ومنها ما هو شيعي متطرف (ثوري اعتقادا وسياسة) . ان انشطار المسألة القيادية \الصراع على السلطة\ بين الخليفة والامام انعكس بدوره على المأمومين ، على المستفيدين من الخلافة والمتضررين من السلطة . وهذا الانشطار في المستريين الامامي والجماهيري ، هو الذي يشكل البنية التاريخية لحركات المعارضة الثورية ذاتها .

■ في مقابل الاسلام الظاهري، العلني ، النصوصي ، السلطوي نجد اسلاما باطنا ، سرى ، قدسيا ، اعتراضيا ، تقوم فلسفته العامة على اكتناهِ الحقيقة فيما وراء الظواهر والنصوص ، فلسفة الحق الذي يشرع الحقيقة . هذه الفلسفة شغلت بدورها العالم الوسيط والاسلامي والعالم الاوروبي القديم . ان جذور الحركات الباطنية تعود الى القرن الهجري الثاني ، حين اخذت فرق صوفية ونحل هرطوقية متطرفة تنسج لذاتها رؤية مختلفة لذلك العالم الاسلامي الذي كان يتخبط بين المتصارعين على السلطة وبين ضحايا هذا التصارع ذاته . والاساس الفلسفي لهؤلاء الباطنيين هو التشيع ، لكن الا يصح القول ان المعارضة الاسلامية(الثورية والديموقراطية) هو الذي دفع بالحركات الباطنية من المستوى الاعتقادي الى المستوى التاريخي ؟ ان العناصر التي تألفت في الاسلام ، عناصر العرب والشعوب المتأسلمة ، المستعربة وغير المستعربة ، قدمت لأول مرة في تاريخ البشرية مجالا لتحقيق عالمية ، او امنية ، انسانية فريدة من

نوعها . وفي هذا الاتفاق وجد المسلمون ان عليهم ان يجتهدوا ، سواء
لاغلاق ابواب السلطة في وجه الطامحين اليها ، وذلك بان غلقوها
وحجبوها بنصوص ظنوها كافية لتحجير الواقع الاجتماعي اصف
المحيط بها والمتحرك من تحتها ، وسواء لدك سجون السلطة وفتح
بالنصوص المختلفة (التاويل الباطني) وبالقوة الجماهيرية المنتظمة
على اسس اعتقادية تغييرية (ثورية العلاقات) . وكان ذلك العالم
المختلف تركيبا وتوجها ، يصارع عوالم خارجية ، الآسيوي منها
والاوروبى بشكل خاص . وكانت كل فئة قبلية ، قومية (اثنية) ،
مذهبية ، الخ ، تدلي بدلوها في خضم القوى المتصارعة ، والمتصاعدة
حتى نقطة : الكل او لا شيء ، ف وراء الذهنية السامية والاسلامية ،
يصل الخيار الاعتقادي الى نقطة اللارجوع : اما التوحيد او الشرك ،
اما العدل المطلق او الظلم المطلق الخ . هذه الذهنية الاطلاقية التي
تشكل اساسا للاعتقادية الاسلامية التوحيدية ، ستعكس نفسها في
مرآة الحركات الاجتماعية ، فاما الانصهار المطلق في المتحد
السلطاني ، او المعارضة المطلقة لهذا المتحد ، ومثل هذا الموقف
نستنتجه ، بجلاء ، من بواكير الحركة الاسماعيلية ، بجذورها المعرفية
(الايرانية والسريانية واليونانية والاسلامية العربية) وبمسارات
تأطيرها القيادي الفوقي والجماهيري المتواصل . وهذه الحركة
وما اتصل بها او تفرع عنها ، هي ثورة في الثورة الاسلامية ،
بنظر قادتها . وهي بنظر اعدائها وردة ثورية ، زندقة هرطوقية ، على
الاسلام السني ، الحنيف ، الاصيل . فإين هي حقيقة هذه الحركة ؟
ان رسدا تاريخيا لمقومات الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية يعتبر
من الجهود الثمينة والجوهرية ، لكننا نعتقد ، بكل تواضع علمي ،
ان ذلك يفوق حدود هذا الكتاب ، بل يفوق امكانات المؤرخ الاجتماعي
الفرد . فلا تزال الجذور الاجتماعية العربية والاسلامية الوسيطة
لاخوان الصفا ، مشرقا ومغربا ، تدعو كثيرا من الباحثين الى تجنيز
معلوماتهم وتدقيقها في ضوء التاريخ الثوري للعرب وللإسلام .

■ ان مصداقية المراجع التاريخية هي الشاغل الاكبر للمؤرخ الاستاذ برنارد لويس ، ولا عجب ان كرس معظم جهوده لاكتشاف الحقيقة من خلال نقده المتواصل للمراجع المعادية - كما يسميها - التي اضطر لاستعمالها في التأريخ للاسماعيلية والفاطمية والقرمطية . واننا نلاحظ كيف يضع برنارد لويس تاريخين متواصلين في آن : تاريخ المصادر والوثائق والمعلومات ، وتاريخ الحركة الاسماعيلية المستنبط من هذه المصادر . ويعتبر النظر العقلي في صحة المراجع شرطا ضروريا لموضوعية الكتابة التاريخية ، ولويس اذ يعتمد على كل المصادر التاريخية المتوفرة ، فانه لا ينزلق منحازا الى معلومات دون اخرى ، بل يقارن ويفاضل بحثا عما يفترضه الحقيقة التاريخية فهل ادرك لويس هذه الحقيقة التاريخية للتشيع الثوري في الاسلام من خلال حركات اعتراضية كبرى كالتى يدرسها في هذا الكتاب ؟

على مستوى المصادر ، يبدأ برنارد لويس بالنظر في المصادر الاسلامية السنية الخاصة بالباطنيين عموما ، وبالا سماعيليين خصوصا . ويقسم هذه المصادر على ثلاثة مراحل : الاولى مرحلة الطبري والسعودي ، والثانية مرحلة ابن الاثير ومسكويه ، والثالثة مرحلة عبداللهم رزام (اوائل القرن الهجري الرابع ، الميلادي العاشر) ، اخو محسن ، المقرئ ، والنويري . ويصف برنارد لويس هذه المصادر بأنها « تاريخية سنية » ، ويتممها بمصادر اخرى يصفها بأنها « سنية دينية » . ولا ندري هنا ما هو المعيار الذي يعتمده الاستاذ لويس لاقامة الحد ما بين الديني والتاريخي في هذا المجال من البحث الذي يتصل فيه التاريخي بالديني اتصالا جدليا لا انفكاك له ؟ انه يرى ان هناك مؤرخين اسلاميين دافعهم الاساسي هو الكتابة التاريخية النزوية ، وهناك مجادلين اسلاميين - او كلاميين - حاجسهم الرئيسي هو الدفاع عن الاسلام السني في وجه معارضيه .

وهؤلاء وأولئك يشكلون مادة مرجعية للمؤرخ ، ولكن هذه المادة ليست متكافئة من حيث الاهمية ولا من حيث المصادقية ، فالذي يؤرخ غير الذي يجادل . وإذا استلزم الجدل الديني مادة تاريخية يستتجد بها ، انما يكون الاستلزام هذا بدافع تبريري او تحريضي ، لا بدافع تفسيري او تاريخي . المعرفة هنا تغدو وسيلة الاعتقاد ، لا للعلم . ووراء استخدام الاعتقاد والعلم نجد السلطة ، كما نجد بالطبع ، الصراع الاجتماعي على السلطة . ومثال ذلك ان كتاب ابي الحسن الاشعري (القرن العاشر) « مقالات الاسلاميين » ، يطرح هذه المسألة La problématique : ففي هذا المرجع معلومات غزيرة وقيمة عن التاريخ الاسلامي ، لكنها معلومات جدالية ، موضوعة انطلاقا من موقف صراعي مسبق ، من انحياز ايديولوجي ، فماذا يبقى اذن لهذا المرجع من قيمة علمية ؟ وهل يمكن استقاء معلومات تاريخية من مجادلات فلسفية وايديولوجية وسياسية كمجادلات الاشاعرة والمعتزلة ، وصولا الى صراعات اهل السنة وغلاة الشيعة والشيعة وكل القوى المعارضة ؟ ان المصادر التاريخية السنية تمتاز ، اذن ، عن المصادر السنية الدينية ، بأنها توخت الاعلام التاريخي ، في حين ان الاخرى توخى واضعوها الدفاع التاريخي عن مذهب وعن سلطة . ويندرج في جملة هؤلاء المدافعين الاشاعرة ، فضلا عن الاشعري نفسه ، الفقيه عبد القادر البغدادي ، وابو المعالي وابن حزم والشهرستاني . الخ . ومن هاتين المجموعتين من المعارف التاريخية والدينية ، يبني الاستاذ برنارد لويس قاعدة بحثه التاريخي مستفيدا من « النمو التدريجي لمعلومات السنة عن الباطنية » .

وبعد المصادر السنية ، يستند برنارد لويس الى المصادر الشيعية التي يفترض انها اكثر تلازما وتساوقا مع نمو الحركة الباطنية ، والاسماعيلية بخاصة ، نظرا لاتصال واضعيها بالاسماعيليين انفسهم . لكن ، من الملاحظ ان الصراع بين الشيعة الاثني عشرية

وبين الشيعة الثوريين (الفلاة) لا يقل ، تاريخيا واعتقادا ، عن صراع هؤلاء وأولئك مع السنة انفسهم . فنحن في الواقع امام ثلاث قوى تاريخية متعارضة ومتصارعة : قوة في صلب السلطة ، وقوة شيعية تعارضها للوصول الى موقعها ، وقوة ثورية تريد في النهاية تجاوز القوتين معا . واذا قارنا هذه النظرة التحليلية بنظرة علمية الى تصنيف المراجع ، لامكن القول اننا امام مراجع اسلامية (سنة وشيعة) من جهة ، وامام مراجع اسماعيلية - فاطمية - قرمطية - درزية من جهة اخرى . ومعنى هذا التصنيف ان حلقات الايلاف الاسلامي ، المبررة اعتقاديا ، لا نكاد نجد لها تبريرا تاريخيا . هنا المؤرخ والاعتقادي يتضادان . وقد لا يخفى ذلك على الاستاذ لويس لو تساءل : من هو المسلم ومن هو الثوري في الاسلام ؟ من هو القابل ومن هو الفاعل ؟ من هو المنقاد ومن هو القائد ؟ وما هي القوى الاجتماعية التي تمثلها هذه التكوينات الاعتقادية والحزبية في حركات التطور العربي الاسلامي الوسيط ؟

■ ان مواجعتنا النقدية للمصادر الاسماعيلية تفترض فينا امرين متلازمين : استقصاء المعلومات التاريخية والوقائع السوسولوجية من جهة والتحفظ امام التوجهات الاعتقادية الموسومة بتوجهات الدعوة الاسماعيلية ذاتها من جهة ثانية . واذا اجزنا لانفسنا ، في سياق البحث التاريخي ، ان نؤرخ للدعوة نفسها كواقعة سوسيو تاريخية ، فانا لا نجيز لانفسنا الخلط ما بين التاريخي والدعائي . بالطبع من حق الاسماعيليين ان يقدموا صورة عن تاريخهم ، شهادة عن تطورهم ، ولكن من حق العالم ، بل من واجبه ، ان يدقق في ملامح هذه الصورة ، وفي منطق هذه الشهادة . والكتابة التاريخية النقدية لا تجيز تجميع المعلومات وسردها (تاريخ حذثي) بل تستوجب محاكمتها عقليا ، والتأليف بينها ، وصولا الى رسم معالم المنظومة التاريخية الاسماعيلية ، المنظومة المروية ،

المفهومة ، المفسرة في ضوء النقد العلمي، بعيدا عن المعية والضدية
 الفلسفتين نحن لا نأخذ على الدعاة الاسماعيليين وضعهم الكتب، كما
 فعل الداعي الاسماعيلي ادريس اليماني في موسوعته التاريخية
 (عيون الاخبار) ، او كما فعل ، قبله ، قاضي قضاة المعز، القاضي
 نعمان حين حاول التاريخ للدعوة الفاطمية ولابتداء الدولة الفاطمية
 ذاتها . انما نأخذ على المؤرخ المعاصر ان ينحاز في مصادره ،
 فينحاز حكما في كتابة التاريخ، الذي يفترض ان يكتب بالاستناد الى
 المراجع المتوفرة ، المنشورة والمخطوطة ، وفقا لمعايير
 Critésiologie علمية صارمة ، ولتدقيق حازم في
 مصداقية المعلومات وانطباقها العقلي والواقعي على مجريات
 التاريخ .

وبعد المطالعة الاجمالية للمصادر المعتمدة ، تتوضع صورتان
 للعقبات الكبرى التي تعترض سبيل المؤرخ :

الصورة الاولى

- خلاصة المصاعب المرجعية المتشخصة ، كما يرى برنارد لويس ،
 في : (١) الدس على الاسماعيليين والباطنيين عموما .
- (ب) سرية الحركة الباطنية اي اخفاء بعض الحقائق الكبرى .
- (ج) الالتباس بين الشخصيات الحقيقية والشخصيات الموهمة
- (د) الالتباس بين انساب الباطنيين بسبب عقيدة التفويض .

الصورة الثانية :

خلاصة المعضلة التاريخية، معضلة المضمون التاريخي للحركة
 الاسماعيليين والفاطميين والقرامطة . فالمؤرخ يجد نفسه امام

حركات متقاربة ، او متناظرة ، لكنه لا يعرف كيف يقيم الجسر فيما بينها . ومثال ذلك : الدعوة الاسماعيلية في القرن الهجري الثاني ، والدعوة الاسماعيلية في اليمن وشمال افريقية حتى تأسيس الدولة الفاطمية ، واخيرا الحركة القرمطية في الهلال الخصيب (مطلع القرن الميلادي العاشر) ، ثم القرامطة انفسهم . فماذا يمكن القول في هذه الاطوار من الدعوات ؟ هناك باحثون لامعون يذهبون في القول « ان الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية اسماء مختلفة لحركة واحدة » . وهناك آخرون يرون فيها اسماء مختلفة لحركات مختلفة ، فإين هي الحقيقة التاريخية في هذا الالتباس وهذا الافتراض ؟ ان هذه الاسئلة وسواها تهيب بالمؤرخ ان يعود الى الجذور ، الى اصول الاسماعيلية ذاتها . فماذا وجد وراء هذه الجذور ؟

ان الجذري في التاريخ هو اظهار اصول الحركة الاجتماعية ، وتعيين معالم تطورها والنتائج التي وقفت عندها . وهذه الجذرية في الكتابة التاريخية المعاصرة قد لا تقل ، ثورية ، عن عمق التوجه الثوري للحركات المدروسة ذاتها . فنحن لسنا في معرض تقبل تأريخي لمعلومات مصنفة بصيغتها الاخيرة ، وانما نحن امام معلومات ملتبسة ، تبحث عن صيغة تاريخية . وتجذير الكتابة التاريخية هو حدث ثوري بذاته . فالنظر الى التاريخ الاسلامي ، من داخله ، يتطلب منهجا علميا جديدا ، منهج المقارنة ، بدلا من منهج التلبس والتوجيه السائد ، منهج التعميم والتبسيط . فالتشيع مظهر اجتماعي من مظاهر الصراع التاريخي عند الشعوب ، فقد يكون تشيعا دينيا وسياسيا ، كما يمكنه ان يكون اقتصاديا ، او طبقي ، ثقافيا او شعبيا (او شعوبيا) او قوميا الخ . والتشيع الاسلامي امتاز بظهوره ، اولاً ، في ظروف الخلافات العربية على السلطة ، فعرف ذلك بالتشيع العربي ، او بالتشيع الشامي ، مقابل ما سيسمى ، فيما بعد ، بتشيع الموالي ، او التشيع الاعجمي . وقد امتاز الانتقال من

التشيع العربي الى التشيع الاعجمي (دون ان يتنافيا) بظهور فكرة اعتقادية خطيرة هي فكرة المهدي ، الامر الذي يعني تجديد الصراع على السلطة بتأكيد حق الامام (المقبل دائما) في السلطة ، وعدم حق الخليفة في ما يمارس من سلطان . في هذا الصراع مستدرج ، اذن قوى اجتماعية واسعة ، متعددة الاصول والجنود ، ولكنها تتلاقى في حمى المعارضة للطبقة المتكونة حول اسلام الخليفة .

فبين اسلام الخليفة واسلام المهدي ، ستأخذ صورة النقيض التاريخي بالتكون ، لتفرض نفسها حيث تستطيع القوى المتصارعة ان تفرضها .

ان المهديّة تعني ، فلسفيا ، الانحياز للمستقبل ، توقع الافضل من الاتي ، وبالتالي تعني عدم الركون للقائم الحاضر . لهذا اتسم هذا النوع من التشيع المستقبلي بالثورية ، لان شعاره الضمني هو :

المهدي آت ، اذن ، التغيير ممكن ، ويمكن ايضا انقلاب الجور الى عدل . هؤلاء الباحثون عن العدل في عالم ظالم ، سيجدون انفسهم مجددا في اطار اسلام تقليدي وفي اطار اسلام تجديدي ، اسلام قابل واسلام فاعل . انه بالطبع اطار تصارعي ، والاسلام الفاعل بالنسبة الى القوى المظلومة والمقهورة هو الاسلام الثوري الذي لا معنى له بدون قيام ثورة اجتماعية تؤدي الى مجتمع ثوري و دولة ثورية . فاذا كانت عقيدة المهدي غيبية من جهة ، فانها مستقبلية من جهة ثانية :

واذا كانت رجعية بمعنى انها ماضوية ، فأن المسترشدين بها يطمحون الى المستقبلية طموحا مختلفا عن الآخرين الذين يرون الاسلام تكرارا سلطويا لما هو قائم ، ويعتبرون الثورات - زلزالا وهرطقات - . ان تاريخ التشيع الثوري هو تاريخ الصراع الاسلامي الداخلي على السلطة ، هو تاريخ القوى الاجتماعية التي وجدت في الاعتقادي سبيلا الى الانتقادي ، وفي التنظيم السري سبيلا الى اسقاط ما هو علني . ان معرفة الامام هي شرط الانتماء الثوري الى التشيع ، ولكن هذه المعرفة ليست سهلة ، فالامام غير قائم في عصره قارة ، وهو غير مستقر تارة . فاين يجد المنقاد قائده ؟ المأموم امامه ؟

لقد ابتكرت العبقريّة الثوريّة - التبطين لاجل تظهير الصراع فيما بعد - نظرية « تفويض القيادة / الوصاية بالقيادة » حين جعلت الامامة موروثا وابداعا في آن ، فالامام الموروث من اصل معروف ، يمكنه الاستيلاء في امام جديد - هذه النظرية تدخل نمطا من ديموقراطية الثورة على الفكر الاسلامي التقييري : كما ان الانقسام الجديد للمجتمع العربي في العصر العباسي اخذ يفرض التقسيم الاقتصادي للطبقات بدلا لتقسيمها على اساس النسب والعنصر - فلاحظ برنارد لويس «انتقال الخلافة من دولة زراعية عسكرية الى امبراطورية تجارية عالمية » . وفي ظروف هذا الانقلاب الكبيرة في بنية المجتمع والدولة الاسلاميين، كان من الطبيعي ان يأخذ الصراع الاجتماعي على السلطة مجراه التطوري ، بدءا من القرن الهجري الثاني الذي تأصلت فيه اصول الثورات ، مرورا بالقرنين الهجريين الثالث والرابع اللذين شهدا منظومة من الثورات والصراعات التي اقترنت ، غالبا ، بطابع التشيع الثوري ذاته ، فأعطاه شكلا ومضمونا كان يفترق اليهما في مرحلة الدعوة الثورية .

ان جذور الاسماعيلية نجدها في الظروف الاجتماعية والتاريخية المذكورة ، كما نجدها في شخصيتين قياديتين خطيرتين : شخصية اسماعيل وشخصية ابي الخطاب ، اللذين سعيا معا لتأسيس حركة شيعية تغييرية ، تمتد الثورة اسلوبا للوصول الى السلطة . وهذه الحركة امتازت بالوحدة ، شكلا ومضمونا وقيادة . وهنا لا بد من التاؤل النقدي فيما نسميه القواصل القيادي في الاسماعيلية من خلال نظرة الابوة الروحانية او البنوة الامامية . ان هذه النظرية ترمي الى ابراز عدم الانقطاع بين الامام وتلميذه من حيث العلاقة الروحانية . وان الترجمة السياسية لهذه العلاقة ستكون ذات خطر ثوري كبير : فهذا الابن النفساني للامام ينقلب قائدا بمواصفاته نفسها ، قائدا مفوضا لكنه لا يحق له ان تستقر القيادة في تربيته ، اذ لا بد من

اعادتها من المستودع الى المستقر . وهذه الجدلية ما بين المستقر (الثابت) وبين المستودع (التحول) ادخلت كثيرا من الديناميكية على حركة متلاينة وحساسة في مواجهتها الدعائية والعنفية لعالم يقهرها ويظلم المؤمنين بها .

ومن جنور الاسماعيلية الى جنور الفاطمية ، يبرز هذا الخط القيادي ، القائم على الاعتقاد في امامة التفويض والاستيداع ، على مبدأ الابوة الروحانية الناشئة عن « ملازمة شخص لآخر معين » . وعليه فان التلازم القيادي كاف بذاته للتوالد القيادي ، لانتقال الامامة من المستقر الى المستودع ، وكلاهما - كما نرى - المائل والمثول، من رموز التغيير الذي يراد به تعبئة «السواد» أي الفلاحين بخاصة ، وراءها ، مع نخبة من العلماء والمفكرين الذين يطمحون الى افق آخر . ولقد سمي مبدأ التوالد القيادي هذا باسم «التفشي» . ومفاده : « ان يخلق بين المنشئ والمنشأ صلة روحانية شبيهة بالصلة النسبية » . ومما يلفت النظر هو ان هذا المبدأ الديمقراطي في اساسه ، نجده في حركات التشيع الثوري بعامته ولدى الاسماعيليين والفاطميين والقرامطة والدروز (استخلاف الائمة والحجج يعتمد ابدا على الابوة الروحانية وليس على الابوة الجسمانية) .

ان الاستيداع والاستخلاف القياديين يعنيان ان القيادة شأن يورث تارة ، وشأن ينشأ عليه الافراد الملازمون لحركة التاريخ . والمستعدون لتأدية ادوار ثورية تارة اخرى . فالتفويض او التعيين القيادي يعني، ترميزا ان القيادة رهينة برجالها القادرين . فالاستخلاف هو روحاني ، معنوي، والديموقراطية هنا تعني ان الجميع معنيون بشؤون القيادة . لكن الا يحد الربط ما بين المستقر والمستودع من هذه الديموقراطية الثورية ؟ انه في واقعه يقيم توازنا ما بين الموروث

والمتجدد ، بين المعطى والمتغير . فاذا كان المستقر اصل القيادة ،
 فإن المستودع هو الذي يمارسها بكل معنى الكلمة . وهذا الاخير لا
 يستطيع تفويضها ، والاستخلاف عليها ، لان امتلاك القيادة ليس في
 نريته ، انما في نزية الامام الاكبر ، مستودع اسرار الامامة الذي
 يمكنه وحده تفويضها لمن يخلفه . انها في ظروف الملكية السلطوية ،
 نظرية ثورية انتقالية ، لانها تجيز التوالي على القيادة لمن تبرز فيه
 الكفاءة القيادية ، بغض النظر عن نسبه وطبقته وجنسه الخ . هذا
 التثوير لمفهوم القيادة يستحق بذاته اهتمام المؤرخين وهم يسمعون
 الى تاريخ الصراعات القيادية على سلطات المجتمع والدولة . ولهذا
 فان الالتباس حول نسب القائد الاسماعيلي - الفاطمي - القرمطي -
 هل هو من سلالة علي أم لا ، سيبدو دون قيمة ، طالما ان الاساس
 النظري للامامة قد تطور في اتجاه اكثر ديموقراطية ، للعلاقات ما
 بين النخبة القيادية وبين اتباعها ، الذين بإمكانهم ان يستودعوا
 الامامة في احدهم . يقول برنارد لويس : « يتضح ان هناك فرعين
 لنسب الائمة احدهما العلويون المستقرون وثانيهما القداحون
 المستودعون ، وذلك خلال عهد الغيبة المبتدئ بمحمد بن اسماعيل
 وعبدالله بن ميمون القداح ، والمنتهي بسعيد الخير والقائم ، الخليفة
 الفاطمي الشرعي الاول » . واذا كان من واجب المؤرخ ان يتقصى
 القرابة القيادية والاعتقادية ما بين حركات تنتمي بشكل او باخر الى
 التشيع الثوري ، واظهار مالاشخاصها من فضل عليها ، ومالهم من
 اخطاء واخطار ، فان من حق القارئ العربي وغير العربي ان يعرف
 ما هي تلك الحالة التاريخية المشتركة التي كانت تستلزم تكتل قوى
 اجتماعية وقومية شتى لمواجهة الارستقراطية التي ارادت ان تجعل
 الاسلام رمزا لانتصارها في السلطة ، واداة لسيطرتها على السلطة .
 واكثر من ذلك الا نجد في الوقائع التاريخية ذاتها ما يجعل قوى
 التشيع الثوري تندفع بشكل طبيعي في صراعاتها الاجتماعي لاجل
 السلطة ، انطلاقا من اسقاط الطبقات الظالمة ؟ السنا نجد في الاساس

الاجتماعي للدولة الاسلامية الوسيطة قاعسدة للثورة عليها ؟ والا فكيف نفسر ثورة الزنج وحركات القرامطة ، والدعوات الاسماعيلية والفاطمية ، وكل دعوات المعارضة السياسية في الاسلام ؟ وكيف وصل ابن رزام ، مثلا الى القول « ان الاسماعيليين كانوا يبشرون بأن الشرائع لم تسن الا لتقييد الجماهير وصيانة المصالح الدنيوية للطبقة الحاكمة . اما المثقفون فلا حاجة لخضوعهم لها ، ؟ وهل ينتمي القادة الثوريون الى هذه النخبة المثقفة التي لا حياة لها دون النضال لاجل التغيير وتثوير القاعدة الجماهيرية للمجتمع الذي تعاني من قهر سلطته ؟

ان المفزى الاخير للتشيع الثوري هو انه احوال الوعي الديني الى وعي ثوري ، ودفع بالصراع على السلطة من موقعه الديني المحرم الى موقعه الاقتصادي المحلل ، وتمكن بذلك من تكتيل جماهير الانتاج ، من السواد الاعظم الى الحرفيين واصحاب المهن ، حول القوة الجديدة ، التي تريد من اعتراضها العقائدي ، مدخلا للتغالب الطبقي على السلطة ذاتها . اليس هذا هو المفزى التاريخي لتتويج حركات التشيع الثوري ببناء جماعة متساوية ، وتنظيم علاقاتها على اساس التداخل الاعتقادي والتملك الجماعي ؟

ان تاريخ المجتمعات العربية الاسلامية لا يمكنه ، بحال ، ان يكون تاريخ ذلك الركون السلطوي والبنى الفوقية ، ولا بد للمؤرخين ، حتى ينصفوا التاريخ الاجتماعي للعرب ، من كتابة التاريخ العام للصراع في كل مستوياته ، وبشكل خاص في مستويات القوى التحتية ، التي تنتج الاقتصاد والثقافة والصراع الطبقي . فهل يرشدنا كتاب برنارد لويس الى احد جذور هذا الصراع الكبير ؟

بيروت - كانون الاول ١٩٧٩

د . خليل احمد خليل



مقدمة الطبعة الانكليزية

في كل حضارة حركات لثورات اجتماعية وعقلية تعبر عن رد الفعل عند الجماعات المظلومة المضطهدة الساخطة على الاوضاع السائدة في تلك الحضارة . وتاريخ هذه الحركات - الذي يكتبه اعداؤها غالبا - ذو صعوبات معينة وذو قيمة فذة للمؤرخين .

وكان لا بد من تلك الحركات في العصور الاسلامية الوسطى ، وفي مثل ذلك المجتمع الخاضع للعقلية الدينية ، المجتمع الذي تكون الدولة والدين فيه شيئا واحدا ، والخروج على الدولة والخروج على الدين سيان . اقول كان لا بد لمثل تلك الحركات في مثل ذلك المجتمع ان تصطبغ بالصبغة الدينية ، وأن توسم بالزندقة وبثورية العقيدة وتمرد السلوك . واننا لنجد في العصور الاولى للاسلام مجموعات من الفرق اثارت عليها غضب رجال الحكم ورجال الدين لنضالها ضد الدولة والدين معا .

واهم هذه الفرق - وأكثر ما نعرف عنها من كتابات اعدائها - تلك الفرقة المسماة بالاسماعيلية او الاسماعيليين (أو بالباطنية أي التعليمية ... الخ أسمائها) / وسرعان ما حازت على أهمية : فاقت أهمية منافسيها ، وأوجدت ما يهدد المجتمع السني . فقد ظل دعائها ،

قرونا عدة ، يثيرون الثورات على الخلافة العباسية في كل انحاءها ، وظل فلاسفتها يحكمون انشاء مذهب ديني ليحل محل المذهب السني .
ومما زاد من اهمية الفرقة صلتها بظهور الدولة الفاطمية ، اقصى دولة في تاريخ مصر الوسيط . الا ان هذه الصلة اوجدت مشاكل تاريخية كثيرة ما يزال اغلبها ينتظر الحل المقبول .

ولم يظهر بحث تاريخي مفصل عن اصول الحركة الاسماعيلية منذ صدور كتاب دو خويه (De Goeje) « Memoire sur les carmathes » سنة ١٨٨٦ (وقد تيسر لنا من المعلومات الجديدة المتنوعة الهامة بعد صدور هذا الكتاب - وان كان ما يزال كثير غيرها مجهولا في مكاتب الاسماعيلية في الهند واليمن - ما يساعدنا على اعادة النظر في حلول المشاكل وتقديرها تقديرا جديدا .

وأحب ان اعترف بما أنا مدين به للويس ماسينيون الاستاذ في الكوليج دي فرنس Le collège de france فقد كان لمساعدته وارشاداته لي في اثناء اشتغالي بالكتاب قيمة لا تقدر ، وأني اسجل شكري للاستاذ جبب Gebb الاستاذ في اكسفورد لمساعدته وتشجيعه اياي ، والى الاستاذ تريقتن الذي تحمل اتعاب قراءة المسودات ، والاستاذ N. H. Baynes والدكتور بول كراوس ، والدكتور هيورث دن ، والدكتور صديقي والاستاذ عباس اقبال والاستاذ م. ه. الاعظمي لما أبدوه لي من المساعدات والاقتراحات .

ولا بد ان اعترف بالفضل لامناء مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في لندن ، ومدرسة اللغات الشرقية في باريس ، ودار الكتب المصرية في القاهرة لتلطفهم الكثير ومساعدتهم الوفيرة ،

ولا انسى ان اقدم شكري لاصدقائي من الاسماعيليين في مصيف
Masyaf وسلمية وغيرهما فقد افادوني كثيرا .

وهذه الدراسة طبعة منقحة مصلحة لرسالة نالت درجة Ph. D.
من جامعة لندن ، واني لاتقدم بالشكر الى لجنة الطبع في هذه
الجامعة التي هيات للكتاب مجال طبعمها .

كمبرج ، كانون الثاني (يناير) ١٩٤٠ برنارد لويس

تقديم الطبعة العربية

انه لمن دواعي الفرح والفخر ان اكتب هذه الكلمات مقدمة للطبعة العربية لكتابي « اصول الاسماعيلية » . والحركة الاسماعيلية - بمفهومها المتعارف - احدى الظواهر الهامة في العصور الاسلامية الوسطى : فقد اوجدت ، في المجال السياسي ، الدولة الفاطمية العظيمة في افريقية ومصر ، والجمهورية القرطبية في البحرين ذات الامة الفذة لتفرد نظامها الداخلي . واثرت في المجال العقلي : في التفكير كما في نتاج جماعة من الكتاب والشعراء كالمقنبي والمعري وابن هاني واصحاب رسائل اخوان الصفا . وعبرت في المجال الاقتصادي والاجتماعي ، بشكل اوضح مما عبرت عنه اي حركة اخرى ، عن التناقض والتصادم اللذين لا بد منهما في كل حضارة معقدة ، نامية ، واسعة الانتشار ، كما عبرت عن طموح الانسان الابدئي الى تحقيق مجتمع جديد ، اقرب الى المساواة . ولكن الحركة كانت زندقة في نظر الدين ولهذا فقد لف الغموض اكثر تاريخها ولا سيما ما يختص بجانبها غير الديني وذلك للكراهية التي اثارتها على نفسها ، ولزوال غالبية كتاباتها - نتيجة هذه الكراهية - في الشرق الأدنى . الا ان عثورنا حديثا على كثير من الكتابات الاسماعيلية عند بعض الاسماعيليين في الهند واليمن وفرلنا امكانا لتقدير جديد لهذه الحركة ، ولدورها الصحيح الذي لعبته في تاريخ الاسلام . وهذا

الكتاب الصغير في طبعته الاولى سنة ١٩٤٠ ما هو الا محاولة لبحث
جديد في مشاكل عدة من تاريخ الاسماعيلية على ضوء ما وقفنا عليه
من المعلومات الجديدة والقديمة ، ولتمهيد الطريق امام الباحثين .

برنارد لويس

لندن ١٩٤٧

٢ - توطئة :

نظرة في المصادر

مزت بلاد الخلافة العباسية - في اثناء العصور الاسلامية الوسطى - حركة دينية اجتماعية فلسفية سياسية معا ، هدت كيان الحضارة الاسلامية زمنا ما ، وتوقفت - عندما بلغت ذروتها - في انشاء خلافة منازة للخلافة العباسية السنية في بغداد ، خلافة اقل ما توصف به انها تساويها رفاهية وقوة .

ابتدأت الحركة الاسماعيلية او الباطنية - ولنسمها باثنين من اهم اسمائها التي عرفت بهما - في القرن الثاني للهجرة ، من مزيج من نحل صوفية هرطقية غالية متطرفة ، جلاها من الشيعة ، وربما كان بعضها من اصول فارسية قديمة او سريانية غنوصية . ولقد ظهرت - في القرون التي نمت فيها وسادت ثم تدهورت - بأشكال مختلفة متباينة في المبادئ والتنظيم . فهي ان استمرت في ضم فرق جديدة اليها ، ذات افكار جديدة من جهة ، فقد استمرت من جهة اخرى في انقسام دائم الى شعب وفروع جديدة ، غالبا ما يصادم بعضها بعضا .

فالمصابات القرملطية المربعة التي شنت من قاعدتها في البحرين.

غارات متتابعة جريئة فيها انتهاك لحرمة المقدسات ، افسزت العالم الاسلامي في القرن الرابع الهجري ، والخلافة الفاطمية في القاهرة بعاصمتها ذات المدينة الزاهرة وبحياتها العقلية الراقية وجماعة اخوان الصفا الموسوعيين الذين حاولوا ان ينشروا الفلسفة والمعرفة بين الجماهير في القرن الخامس الهجري والحشاشون المرعبون في سورية وفارس في القرنين الخامس والسادس للهجرة - كل أولئك مظاهر مختلفة لحركة واحدة حاولت وكادت - باستيعاب تعاليمها وبغاياتها البسيطة - تنجح في توحيد شعوب الشرق الاسلامي كلها ، بغض النظر عن عقائدها وأحوالها الاجتماعية والدينية السائدة في ظل الخلافة الوسيطة .

اتاحت للحركة فرصة حسنة لتوجيه موجة الاستياء الديني والاجتماعي التي كانت تصود بلاد الخلافة وقتئذ ، وذلك باستعمالها حق العلويين الشرعي منهاجا سياسيا لها (مع تعديلات سنراها) وبالمزج الخفي لكل العقائد والفلسفات مع اتجاه داخلي قوي لتحكيم العقل في كل الامور كمبدأ لها ، وباستغلال التذمر الاجتماعي ، واستخدام التنظيم الدقيق كعنصر هام لفعاليتها . ومما زاد في مشقة البحث تحامل المصادر المعادية التي اضطررنا للاعتماد عليها في أكثر مراجع هذا الكتاب ، اذ ما زالت أخبار الحركة الاسماعيلية مضطرة ان تعتمد كثيرا - في ادوارها الاولى على الاقل - على كتابات غير الاسماعيليين رغم ما يشوبها من عيوب من جراء الجهل والتعصب .

ولا يقع اللوم كله على كتّاب السنة والشيعية الاثني عشرية الذين رووا لنا القصة ، اذ ان تكتم الحركة ، ونظامها الشبيهة بالماسونية ، والحجاب الكثيف الذي يخفي عقائدها واشخاصها على

غير المتمين اليها - كل ذلك صعب مهمة المؤرخ وحال دون فهم اصولها فهما صحيحا واضحا حتى عصرنا هذا .

الا ان اكتشاف وثائق جديدة ، وتدقيق القديم منها مكنا الباحثين من دراسة علمية لتاريخ الاسماعيلية في فجرها الاول فقام امثال لويس ماسينيون Louis Massignon وكراوس Kraus وايفانوف Ivanow والهمداني وغيرهم ، بدراسات سارت بالموضوع خطى واسعة . ولكن الدراسات ما زالت مع هذا مقتصرة - الى حد كبير - على ناحية الادب والعقيدة للحركة . اما الناحية التاريخية فقد ظلت (الا في مسألة او مسألتين - كما تركها دو ساسي De Sasy ودو خويه De Goeje والصفحات التالية محاولة لتمهيد الطريق لدراسة عامة لاصول الاسماعيلية .

* * *

يظهر لنا انه من الافضل ان نبدأ بمناقشة ما بين ايدينا من المصادر الاولى . واننا - وان درسها بعضهم قبلنا - لنرى من الضروري ان نحاول الانتفاع بها على ضوء ما تيسر لنا من مصادر جديدة استعملنا غالبيتها لأول مرة في هذا الكتاب .

تتكون مجموعتنا الاولى من كتب التاريخ السنية . وفيها نستطيع ان نتبع المراحل المتتالية التي فيها توغلت المعلومات الصحيحة عن عقائد الاسماعيلية وعن تاريخ الفرقة الاول السري ، الى العالم السني .

وقد اعرنا هذه المصادر بعض التفصيل لنوضح ادوار هذا

القدريج الهام ، ونستطيع ان نصفه الى ثلاث مراحل تسريت في
اثنائها تلك المعلومات . ففي اولها لم يعرف المؤرخ سوى الفعاليات
العننية للفرقة . وفي ثانيها عرف شيئاً قليلاً عن مدار الخصام بحيث
لم تتكون فكرة عامة عنها . وفي ثالثها بلغ العالم السنني
معلومات مفصلة عن الفرقة وعقائدها واصولها وان لم تكن دقيقة
دائماً . وتتميز هذه المرحلة ببيان بغداد الشهير الذي أعلن للملا بأن
الخلفاء الفاطميين دخلاء على العلويين خارجون على الدين .

أ - المصادر التاريخية السننية

المرحلة الاولى :

أقدم ما نملك من مصادر هذه المرحلة هو كتاب المؤرخ السنني
الكبير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٢١١هـ - ٩٢٢م
وهو يمثل أقدم مرحلة لمعلومات السنة عن الحركة الباطنية تمثيلاً
واضحاً : إذ أن اطلاعه على عقائد الفرق وعلى خلافاتها الداخلية
اطلاع قليل . فهو - على رغم اشارته الى ان زعماء القرامطة في
سورية قد ادعوا بأنهم من ذرية محمد بن اسماعيل بن جعفر
الصادق - لم يدر في خلده ان يربط بينهم وبين المدعي الفاطمي الذي
ذكر ظهوره في افريقية الشمالية . ويمكن ان نعتبر وجهة نظره -
على العموم وجهة نظر الفرد البغادي الاعتيادي في زمانه ، إذ لم
يكن يعرف من المعلومات المأخوذة من التقارير عن الحوادث الا
قليلاً ، والاكتفى عرضية عن العقيدة . ويقتصر بحثه - المبتدئ
سنة ٢٧٨هـ - ٨٩١م بأول دعوة في العراق ، والمنتهي سنة ٢٩٤هـ -
٩٠٦م بالقضاء على ثورة القرامطة في سورية - على الحوادث
الواقعة . وهو لم يحاول ان يبحث عقائد الفرقة اذا استثنينا لمحة
الخاطفة عن كتاب قرمطي منسوب الى القرامطة .

ورضع عريب بن سعد القرطبي سنة ٢٧٠ هـ - ٩٨٠ م ذيلًا لكتاب الطبري ينتهي بسنة ٣٢٠ هـ - ٩٣٢ م ، استعرض فيه ما جاء عند الطبري من معلومات خاصة بالسنيين ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وأضاف إليها بحثًا عن فعاليات القرامطة في البحرين بزعامه أبي سعيد وأبي طاهر ، وبحثًا مفصلاً خاصاً بالدعوة الفاطمية في افريقية وبالنصر النهائي لعبيد الله المهدي . وهو كالطبري لم يربط بين الحركتين القرامطية والفاطمية .

ويخصص المسعودي المتوفى سنة ٣٤٤ هـ - ٩٥٦ م في كتابيه مروج الذهب والتنبيه ، صفحات قليلة للقرامطة يصل فيها بتاريخهم إلى وفاة أبي طاهر سنة ٣٢٢ هـ - ٩٤٤ م وهو يمثل تمثيلاً واضحاً مرحلة من المعلومات السنية عن القرامطة أحدث من التي يمثلها الطبري ، فقد قرأ ابن رزام واطلع على مبادئ الباطنية حتى نظام التأويل الباطني ومراتب التنشيء وأدرك العلاقات بين القرامطة والفاطميين في افريقية واليمن (١) .

ولكن المسعودي - للأسف - لم يكد يتجاوز التنبؤ بهذه الاشياء . وما فقراته في التنبيه الا خلاصة كتاباته المفصلة في هذا الموضوع ، وقد فقدت تلك الكتابات لسوء الحظ . ولا نستطيع ان نعين مصادر معلوماته تعييناً مضبوطاً وان نمت لهجته العامة وبعض الاشارات على ان كثيراً منها مستقى من محادثات له مع القرامطة أنفسهم استقاء مباشراً .

ولقد جعلنا المسعودي في عداد مؤرخي المرحلة الاولى (وان كان يفوقهم في معلوماته ويفوق بعض مؤرخي المرحلة الثانية) لاقتضاب مادته ولانها لم تتجاوز سنة ٣٢٢ هـ - ٩٤٤ م .

(١) التنبيه ٢٨٩ ، الترجمة ٤٩٥

واهم مؤرخ اخر يعد في هذه المرحلة هو حمزة الاصفهاني الذي عاش في القرن الرابع الهجري (القرن التاسع والعاشر للميلاد) وقد اقتصر فيما كتب على أعمال القرامطة الحربية ولم يشير الى عقائدهم ولا الى صلاتهم بغيرهم . وترجع أهمية معلوماته الى الصورة التي ترسمها لنا عن اضطراب حال بغداد والامبراطورية في اثناء تلك السنين القلقة اضطراب ، وعن الفتن المستمرة والحروب الاهلية ، وعن الازمة الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة ، وعن النزاع الطبقي الحاد بين الخاصة - الارستقراطية - والعامة أي عامة الشعب - في بغداد . وهذه الصورة تساعدنا كثيرا على فهم جو الشقاق والاستياء حيث ظهرت وانتعشت فيه الحركة القرمطية الثورية .

المرحلة الثانية :

اضطر دو خويه De Goeje ان يعتمد للفترة التي اتت بعد سنة ٢٢٠ هجرية على مصادر متأخرة ، ككتاب العيون وكتاب ابن الاثير المتوفى سنة ٦٢١ هـ - ١٢٢٤ م . ثم نشرت ، بعده ، بعض المصادر العباسية المتأخرة وأهمها كتاب الصابي المتوفى سنة ٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م وكتاب مسكوية المتوفى سنة ٤٤٨ هـ - ١٠٣٠ م ، وكلاهما يحوي معلومات كثيرة نافعة .

وقد استعفني الحظ في اثناء زيارتي القاهرة فحصلت على مخطوط يظهر انه قسم من تاريخ مفقود لثابت بن سنان الصابي المتوفى سنة ٢٦٥ هـ - ٩٧٤ م ، حفيد الطبيب المشهور ثابت بن قرة (١) اكتفي هنا بان اذكر بأنه كتب في سنة ١٠٥٧ هجرية (سنة ١٦٤٧ م) وأنه منقول عن نسخة كتبت في سنة ٥٧٧ هـ - ١٨٨١ م منقولة عن

(١) انظر عن ثابت وتاريخه Chwolsson , Ssabier , 1 579

نسخة المؤلف نفسه . ولا أجد سبباً مقبولا للشك في صحة هذا المخطوط .

يذكر ثابت تاريخ القرامطة في البحرين وسورية والعراق منذ نشأتهم حتى سنة وفاته . وقد فصل البحث في الحروب بين الخليفة المعز الفاطمي والقرامطة خصوصا . وفيه كل الدلالة على أنه بحث معاصر . ويتبع مسكويه وابن الاثير كلاهما كتاب ثابت هذا ، ويظهر انه مصدرهما المعتمد عن هذه الفترة .

ويمثل ثابت مرحلة من المعلومات ارقى من مرحلة الطبري ، فهو يظهر - في غير مرة - أنه عارف بالعلاقة بين القرامطة والفاطميين في افريقية . ولكنه مع ذلك لا يذكر شيئا عن عقيدتهم ولا يعرف شيئا عن تاريخ الفرقة في دورها الاول قبل انتفاضتها علنا ، ولم يذكر اسم أبي الخطاب وميمون القداح وابنه عبد الله ولم يخامرهم شك في نسب عبيد الله (المهدي) الذي يشير اليه دائما بالفاطمي العلوي .

وأرى لزاما - قبل الانتقال الى المرحلة الثالثة ان أقول كلمة أبرر فيها جعلي كتاب ثابت بن سنان في زمرة المصادر السنية :

ان المؤلف وأسرته من الصابئة . وهو كغيره من كتاب الصابئة يتروسم وجهة نظر السنة تماما ولا يمكن ان نميزه منهم سواء في رجوعه الى المصادر او في طريقته في البحث ، والتتبع ، كما نميز الشيعة الاثني عشرية مثلا . والباحثون السنة يقدرّون تاريخه ، وكثيرا ما يرجعون اليه ويستفيدون منه ولهذا فلا يمكن فصله عن مخلفات السنة التاريخية .

المرحلة الثالثة :

لقد بلغت معلومات كتاب السنة عن عقائد الاسماعيلية في هذه

المرحلة درجة من التطور أعظم من سابقتها بكثير ، فقد توفرت عنها معلومات مفصلة نوعاً ما ، ولا سيما عما يصح ان نعدده تاريخ ابتداء الفرقة وتطورها السري الاول قبل ان تشيع دعوتها بين الناس .

وأقدم كاتب معروف في هذه المرحلة هو أبو عبد الله بن رزام (او ابن رزام) وقد عاش - تخميناً - في أوائل القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) ونستطيع ان نسلكه في عداد المصادر التاريخية وان كان كاتباً دينياً أكثر منه مؤرخاً ، ذلك لان بحثه محفوظ في مؤلفات هي في عداد الكتابات التاريخية ولأنه يعين مبدأ اتجاه تاريخي جديد في بحث القرامطة . ومن بين المؤرخين الذين نهجوا نهجه في كتاباتهم عن القرامطة نظام الملك وابن شداد وأبو الفداء ورشيد الدين .

وقد ضاع كتاب ابن رزام ، الا ان (أخو محسن) - وهو علوي معاصر للمعز تقريباً (١) - عول عليه كثيراً كما أثبتنا المقيزي (٢) . ولكن المقيزي يزيد على هذا بأنه لا يوثق ما كتبه ابن رزام عن اصول الفاطمية . واننا لنستغرب من المقيزي بعد هذا الحكم القاسي على ابن رزام وعلى خلفه (أخو محسن) اعتماده في كتاباته المختلفة اعتماداً كبيراً على ما كتبه وذلك ان يشير اليها (٣) . وقد حفظ لنا المقيزي والنويري نص (أخو محسن) . فذكر الاول الناحية العقيدية منه في الخط (٤) والناحية التاريخية منه في المقي (٥) ومجمله في الاعتاظ . أما النويري المتوفى سنة ٧٣٢ هـ

(١) ساسي: 74 , Intro , 1 - الاعتاظ ١١ - كازنوبا :

La Doctrine Secrète , P. 9 , Note 1.

(٢) الاعتاظ ١٢ - كاترمير ١١٧ - فانيان ٢٩ .

(٣) في الخط مثلاً .

(٤) ٢٩١/١ - ترجمة كازنوبا : La Doctrine Secrète

(٥) ترجمة كاترمير وترجمة فاكنان .

١٢٢١م فقد أورده خيرا من صاحبه في كتابه نهاية الارب ، وهو دائرة معارف في التاريخ والادب . ولا يزال القسم المخطوط من هذا الكتاب ، في نسختين احدهما في باريس والاخرى في استنبول (١) . وقد نقل الفهرست (٢) من ابن رزام مباشرة . وذكر السعودي (٣) ابن رزام بين من ذكر من الكتاب الذين كتبوا عن القرامطة والذين يتحدث عنهم بازدراء . ويرى كازانوف (٤) P. Casanova هذا القذف من السعودي ادانة رسمية لابن رزام . ونحن ، على اي حال ، علينا ان نترث فنحكم على مبلغ الضبط عند ابن رزام بنظرة اكثر تسامحا . فاعتماد المقرضي عليه اعتمادا كبيرا يفقد كثيرا من قيمة تجريحه اياه ، ومعلوماته - كما يرى كازانوف (٥) - تختلف بعض الشيء عن تلك التي جرحها السعودي . وما عثر عليه من وثائق اسماعيلية حقيقية تميل - في جملتها - الى تأييده ، وصيغة القسم التي ذكرها - كما يرى ايفانوف (٦) قريبة من الصيغة التي ما زال يستعملها الاسماعيليون في الهند ، والعقائد التي ينسبها للاسماعيلية تتفق كل الاتفاق مع ما ورد في رسالة اسماعيلية لنصير الدين الطوسي (٧) وان لم تذكر هذه الرسالة مراتب الانتماء التسع التي نجدها عند ابن رزام وعند كتاب آخرين . وسنتحدث عن نواحي الضعف التاريخية التي عند ابن رزام في محل آخر .

(١) انظر ثبت المراجع والمصادر .

(٢) ١٨٦ .

(٣) التنبيه ٢٩٥ ، الترجمة ٥٠١ .

(٤) La Doctrine , Secrète , P. 36

(٥) المصدر السابق نفسه ٢٧ .

(٦) Cread , 14 .

(٧) بحث اسماعيلي لنصير الدين الطوسي نشره ايفانوف في مجلة الجمعية الاسمية الملكية سنة ١٩٣١ . صفحة ٣٥٤ .

يظهر كتاب ابن رزام ظهر ، لأول مرة ، في كتب السفة
التاريخية اسم ميمون القداح وابنه عبد الله ، وريطت اصول الحركة
الفاطمية بهما ، وثبتت الصلة بين الفاطميين والقرامطة ، وبدا الشك
في نسب الخلفاء الفاطميين .

وفي سنة ٤٠٢ هـ ١٠١١ م انيع في بغداد البيان الشهير ضد
الفاطميين ، فكان مؤكدا لبعض ما جاء عند ابن رزام ، اذ أعلن للملا
ان الخليفة الفاطمي الاول - عبيد الله المهدي - انما هو شخص
اسمه سعيد من نسل ديسان مؤسس الفرقة الديسانية وأنه ثنوي
كافر . ولكنه لا يذكر عبد الله بن ميمون ولا اياه .

وظل هذا البيان مع تفصيلات ابن رزام مصدر غالبية الكتابات
المنوثة للفاطميين .

بقي علينا أن نشير الى كتاب واحد فقط بين المصادر السننية
المتأخرة انتفعنا به لأول مرة في هذا الكتاب .

في تواريخ اليمن التي نشرها وترجمها H. C. Kay بحث
مختصر عن القرامطة في اليمن مستخلص من كتاب السلوك لبهاء
الدين الجندي المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ١٣٣١ م . وقد اعتمد فيه على
مصدر واحد هو أبو عبد الله محمد بن مالك بن ابي القبائل ، أحد
فقهاء اليمن وعلماء السنة ، وكان ممن دخل في مذهبيهما (يعني مذهب
علي بن فضل (١) ومنصور اليمني) أيام الصليحي ، وحقق أصل
مذهبيهما . فلما تحقق له فساد رجوع عنه ، وعمل رسالة مشهورة
يخبر بأمور اصل مذهبهم ويتبين عوارهم ويحذر من الاغرار
بهم (٢) .

(١) وهو الداعي الاسماعيلي علي بن محمد (٤٢٠ - ٤٨٣ هـ = ١٠٣٧ -
١٠٨٠ م) ، مؤسس الاسرة الصليحية في اليمن .

(٢) كي ١٩١ .

وفي مستهل عام ١٩٣٩م نشر في القاهرة كتاب - ربما كان هو الرسالة التي يتحدث عنها اسمه كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة ، لمؤلف اسمه محمد بن مالك بن ابي الفضائل الحمادي اليماني وفيه ما يدل على ان مؤلفه معاصر للخليفة الفاطمي المستنصر (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ : ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) .

وهكذا ننتهي من استعراضنا للاتجاهات الرئيسية في التواريخ السنية . وهناك مؤرخون مهمون لم نذكر اسماءهم وسنشير اليهم عند الحاجة (١) .

ونرى ان نشمل ، باستعراضنا هذا قبل ان ننقل الى تفصيل الكلام في النواحي التي نريد تفصيلها ، مجموعات أخرى من المصادر وهي :

- (١) مصادر السنة غير التاريخية .
- (٢) مصادر الشيعة الاثني عشرية .
- (٣) مصادر الاسماعيلية وما يقرب منها .

ب - مصادر السنة الدينية

انه لمن المتوقع ان تحتل حركة دينية انقلابية واسعة الانتشار كالباطنية ، مقاما هاما في كتابات السنة الدينية . وقد خلف لنا علماء السنة كتابات كثيرة في الجدل والرد ، ان لم نستطع ان نحصل منها على معرفة عقائد الباطنية فانتنا نستطيع ان نعرف مبلغ الاثر الذي تركته هذه العقائد في نفوس هؤلاء الكتاب .

(١) عن مناقشة المصادر في ظهور الفاطميين انظر بيكر :

أما الكتب التي تبحث في تاريخ الملل والنحل فإنها أقل تعصبا وتحاملا من هذه المؤلفات ، إذ أصبح تاريخ الملل والنحل علما بلغ درجة راقية من التطور في القرون الوسطى للإسلام .

وغالبية هذه المؤلفات تبحث - في الباطنية من حيث الدين والعقيدة أكثر مما تبحث في تاريخ حركتها . ولذا فهي ليست من موضوع دراستنا في هذا الكتاب . ومع هذا فهناك شذرات ونقف من الاخبار التاريخية مبعثرة في هذه المصادر مما يجعلها تستحق البحث والتمحيص .

والقيمة التاريخية الرئيسية لهذه الكتب هي انها لا تصف الحركة الاسماعيلية بمعناها الضيق بل تشمل كل الفرق الشيعية الغالية التي انبعثت الاسماعيلية منها هيئة منظمة بتفصيل واف لا نطمع ان نجده في المصادر التاريخية الخالصة . نعم ، للفقهاء عيوب تقلل الاعتماد عليهم ، فهم يتحاملون تحاملا شديدا على الفرق التي يصفونها ولا يرون في صالحهم ان يرسموا صورة واضحة صحيحة عن تطورها ، وكثيرا ما كانت معلوماتهم عنها خاطئة فنسبوا اليها مبادئ أنكرها أصحابها باشمئزاز واستغراب . وقد تحدث المسعودي (١) عن الجدليين بازدياء ، فأزرى بعدم رغبتهم في تفهم الامور وبتسرعهم في الاتهام الادانة . فكيف نتوقع منهم اذا ان يميزوا تمييزا صحيحا بين الجماعات المارقة المتخالفة ؟ زد على ذلك ان كثيرا منهم يتقيدون بحديث منسوب الى النبي يقول : « ستفترق امتي ثلاثا وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة (٢) » فكانوا يزدون في عد الفرق المارقة او ينقصون منها بمقدار ما يلائم هذا العدد .

(١) التنبيه ٢٩٥ ، الترجمة ٥٠١ .

(٢) أبو داود ٢٥٩ .

الا اننا ، رغم هذه العيوب ، نستطيع ان نضع بحثا دقيقا عن نمو الفرق الغالية الاولى ، وعن بلوغها الذروة في الدعوة الاسماعيلية ، بمقابلة الروايات مقابلة دقيقة وبما هو اهم من ذلك ومن أي شيء اخر - بما يتيسر لنا من المصادر الشيعية الاثني عشرية والمصادر الاسماعيلية . وسنحاول انجاز هذه المهمة في فصلنا الاول اما الان فلنلق نظرة سريعة على اهم المصادر الدينية السنية من بينها مصدر لم يعرفه أحد حتى الان (١) .

ان اقدم تصنيف للفرق الاسلامية وصل الينا هو كتاب مقالات الاسلاميين للمتكلم الكبير أبي الحسن الاشعري المتوفى سنة ٣٢١هـ - ٩٢٢م . وهو كتاب يحاول بحث هذا الموضوع بحثا مفصلا حسنا على العموم . ويلي الاشعري الملطي المتوفى سنة ٣٧٧هـ - ٩٨٧م وقد عني بالتفنيد أكثر من عنايته بالشرح والتوضيح ولكنه يزودنا - مع هذا - بقليل من التفاصيل المفيدة الهامة .

وأكثر اسهابا من هذا وذاك الفقيه أبو منصور عبد القادر ابن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م . وهو متكلم اشعري خلف لنا في كتابه « الفرق بين الفرق » بحثا مفصلا عن فرق الشيعة وتواريخهم وعقائدهم . ويعرض في فصله عن الباطنية معلومات تاريخية مفصلة اعتمد فيها - كما يظهر - على ابن رزام في شيء من التحرر .

وهناك بحوث مختصرة عن الاصول الباطنية وعن عقائدهم في كتاب بيان الاديان لابي المعالي ، وقد اتم كتابته سنة ٤٨٥هـ - ١٠٩٢م وفي اول تاريخ اسلامي عظيم للاديان وهو الفصل في الملل والنحل لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٩هـ - ١٠٦٤م .

(١) عن بحث الاداب الجدلية الاولى انظر غير للزهير : الغزالي ص ١٤ وما بعدها .

ويتناول هذا الموضوع الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ -
١١٥٣ م خليفة ابن حزم في التأريخ الديني وله نظرة متسامحة
عجيبة . وقد استفاد من المصادر الاسماعيلية استفادة ظاهرة ،
ولكن كتابه يكاد يقتصر على العقائد وليس فيه من المعلومات
التاريخية الا قليل :

وفي مقال لفخر الدين الرازي الكبير ، طبعه وعلق عليه
حديثا الدكتور بول كراوس (١) Paul Kraus تحليل ممتع
لكتاب الشهرستاني قال فيه : « انه كتاب حكى فيه مذاهب أهل
العلم - بزعمه - الا انه غير معتمد عليه ، لانه نقل المذاهب الاسلامية
من الكتاب المسمى بالفرق بين الفرق من تصانيف الاستاذ ابي منصور
البغدادي . وهذا الاستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ، ولا
يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح . ثم ان الشهرستاني نقل
مذاهب الفرق الاسلامية من ذلك الكتاب فلماذا وقع الخلل في نقل
هذه المذاهب ، والفقرة التي تستحق الملاحظة هي الفقرة الباحثة
في حسن بن الصباح ، لان الشهرستاني قد استعمل هنا مستندا
صحيحا ترجمه الى العربية من الاصل الفارسي .

ويرى الدكتور كراوس ان نقدرات الرازي للشهرستاني غير
موفقة في الغالب وان كان يبدو الشهرستاني قد اعتمد في عدد
من ابحاثه ، ولا سيما ذلك المختص بفرقة الكيالية ، على مصادر
اخرى . كما انه أكثر تحررا من البغدادي في نظرتة العامة وأوسع
معرفة بعقيدة الاسماعيلية . ولا بأس ان نذكر عرضا ان الشهرستاني
نفسه قد اتهم بأنه اسماعيلي (٢) .

.....
(١) Les « Controvreses » 205 FF . and 212 FF .

(٢) نهاية الاقدام ١١ : كسيوم .

ومن أهم كتب السنة عن الباطنية كتاب الرد على فضائح الباطنية للغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ - ١١١١م وقد حله وطبع قسما منه غولديزهر . وهو يعنى كذلك أكثر ما يعنى بالعقيدة وهو ليس من موضوع بحثنا . أما اشاراته الى طبيعة الحركة الباطنية فسنعرض لها فيما بعد . ويحسن بنا ان نشير ، عرضا ، الى ان فخر الدين الرازي يتهم الغزالي - في رسالته التي ذكرناها - بسوء فهم مذهب الاسماعيلية ويرى كتابه (الرد) ممعنا في الغلط . وهناك رد اسماعيلي على كتاب الغزالي وضعه داع يمانى في القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي (١)) .

ونستطيع ان نضع بين رجال الدين جمال الدين بـن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة ٥٧٧هـ - ١٢٠٠م الذي يعطينا في فقرتين نبذة موجزة عن الحركات الباطنية معتمدا في الغالب على الطبري وابن رزام والغزالي .

ولا بد لنا ان نضيف مصدرا اخر الى هذه القائمة من المصادر السنية وهو لا يزال مخطوطا وقد استعملناه المرة الاولى في هذا الكتاب .

ومؤلف هذا المخطوط هو قاضي القضاة عبد الجبار بن محمد بن عبد الجبار ، الفقيه المعتزلي ، المتوفى سنة ٤١٥ أو ٤١٦هـ ١٠٢٤ أو ١٠٢٥م . وكان تلميذا لابن عياش وشيخ المعتزلة في عصره (٢) . وكثيرا ما لفت الاستاذ ريتز (٣) H. Ritter انظار الباحثين الى مخطوط في مكتبة شهيد علي باشا في استنبول اسمه كتاب « تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد » لقاضي القضاة نفسه .

(١) ايفانوف : Guide , P. 56 , No. 220

(٢) المبكي ١١٤/٢ - آرنولد : مهدي احمد ٦٦

(٣) Philologica , P. 240 . N 18 .

ويحتوي هذا المخطوط على ٢٩٤ ورقة يبحث عن الحركة الباطنية في
الورقات بين (١٤٣ و ١٥٣) . وقد استفاد عبد الجبار قاضي القضاة
من ابن رزام وذكر اسمه ، الا ان بحثه اصيل في نواح عدة ، ويحتوي
على كثير من المعلومات الجديدة . وقد اتخذ كثير من المؤرخين
المتأخرين كتابه مصدرا يعتمدون عليه (١) .

وبهذا تنتهي من المجموعتين الرئيسيتين للمصادر السنية
مستعرضين النمو التدريجي لمعلومات السنة عن الباطنية . وهناك
مصادر أخرى غيرها ، اذ سنجد في كتب الرحلات والكتب الادبية
والفلسفية وغيرها كثيرا من المعلومات القيمة التي سنستفيد منها
في فصولنا الآتية . وليس بينها ما يستحق ملاحظة خاصة . وبقي
علينا ان نوجز القول في المصادر غير السنية لكاتبنا هذا .

(١) النجوم الزاهرة ٢/٤٤٣ - ٦ - ابو شامة ٢/٢٠١ - تاريخ الخلفاء
للسيوطي ٢ - المقرئ لفاكانان - وللتوسع انظر 5. Beitrage
ويروكلمان ١/٤١١ و ٤١٨ .

ج - مصادر الشيعة الاثني عشرية

هناك ، عدا ما ذكرناه ، مادة غزيرة متيسرة عن تاريخ نشأة الفرق في تراجم الرجال والفهارس عند الشيعة الاثني عشرية ، كانت خافية على دو ساسي ودو خويه وغيرهما من الباحثين الاسبقين ولم تظهر اهميتها الا حديثا حينما نوه بها ماسينيون (١) .

انه لمن الطبيعي ان يكون الشيعة الاثنا عشرية اوفر اتصالا بالاسماعيلية من السنة ، واوفر منهم معرفة بتاريخهم وعقائدهم . فابو العلاء المعري (٢) يقول لنا بان الشيعة الاثني عشرية ما يزالون يجلون ذكرى عبد الله بن ميمون القداح ويوثقون بالاحاديث التي رواها قبل مرقه ، ويؤيد هذا دراسة تراجم الرجال الشيعة اذ تعتبر عبد الله بن ميمون القداح وغيره من مشاهير الغلاة ، محدثين ، وتزودنا بتفاصيل قيمة عنهم لا نجدها في غيرها .

وخير هذه الكتب واقدمها كتاب معرفة أخبار الرجال لابي عمر ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ، وقد اورد لنا الطوسي مجمله . وكان الكشي هذا - وقد عاش في اثناء القرن الرابع الهجري او العاشر الميلادي - تلميذا للعالمين الشيعيين الشهيرين ابي القاسم نصر بن صباح البلخي ، وابي نصر محمد بن مسعود العياشي السمرقندي ، وكان اولهما من الشيعة الغلاة . وكاتب الكشي - وهو مجموعة روايات عن اكابر رجال الشيعة - معدن اخبار ومعلومات (٣) .

وعندنا عدد من كتب متأخرة كلها تراجم رجال وفهارس اهمها

(١) Esquisse ومقالة عن القرامطة في دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) رسالة الغفران ١٥٦ .

(٣) عن الكشي انظر عباس اقبال : خندان نويخت ١٤٠ ، وهدية الاحباب .

كتاب النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م ، وكتاب الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م ، وكتاب ابن شهر آشوب المتوفى سنة ٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م وكتاب الاستربادي المتوفى سنة ١٠٢٨ هـ - ١٦١٨ م (١) .

وهناك ، عدا هذه المجاميع ، كتابان لمؤلفين شيعيين من الاثني عشرية يلقيان على موضوعنا شيئا من الضوء ، يبحثان في الفرق والاديان . وهما الكتابان الوحيدان الباقيان من مؤلفات الشيعة في هذا الموضوع . وفيهما معلومات اكثر مساسا بموضوعنا مما في كتب السنة ، خالصة من بعض اغراض السنة وتحاملهم ، ان لم يكن منها جميعا .

اولهما كتاب فرق الشيعة المنسوب الى ابي محمد الحسن بن موسى النوبختي المتوفى سنة ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م . وهو كتاب يستعرض الفرق الشيعية المنسوبة اليها منذ وفاة الامام علي بن ابي طالب حتى غيبة الامام الثاني عشر محمد المهدي . وقد كتب بأسلوب رائع الاعتدال والاعتزان واحتوى على معلومات كثيرة عن بداية تاريخ الاسماعيلية ومؤلفه شيعي معتدل جدا ، اعتمد على المصادر السنية بقدر ما اعتمد على المصادر الشيعية . ولا تزيد معلوماته في بعض النواحي على معلومات معاصريه من اهل السنة . ولم يذكر عبد الله ابن ميمون ولكنه يرسم لنا صورة واضحة مفصلة عن الفرق التي ظهرت قبل الاسماعيلية والتفت حول محمد بن الحنفية ومحمد الباقر وجعفر الصادق . وهكذا يزودنا باطار تاريخي يمكن ان ندخل فيه المعلومات التي جاءت في الكشي وعند اتباعه من تراجم الرجال .

(١) ان شئت زيادة في التفصيل عن هؤلاء وغيرهم من المؤلفين الشيعة الاثني عشرية فانظر Rieu. Brit. Mus. Suppl. Cat. of Arabie Mss. P, 422 ff.

ويجب علينا ان نشير في معرض كلامنا الى ان عباس اقبال يرفض نسبة كتاب فرق الشيعة الى النوبختي في رسالته الرائعة خندان نوبخت (١) اذ يقول بأن كتاب النوبختي المعروف بهذا الاسم قد ضاع ، وان مؤلفه الحقيقي شخص اسمه سعد بن عبد الله الاشعري المتوفى سنة ٢٩٩ هـ أو ٣٠١ هـ - ٩١١ م أو ٩١٢ م . ويعتمد السيد اقبال في حكمه هذا على فقرات عدة وردت في كتاب الكشي وغيره منسوبة الى الاشعري وهي مماثلة كل المماثلة لما جاء في كتاب الفرق .

وثانيهما كتاب تبصرة العوام وهو كتاب فارسي مؤلفه مشكوك فيه ولكنه ينسب الى السيد مرتضى بن داعي حسيني رزاي (في اوائل القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي) .

د - المصادر الاسماعيلية

ظل الناس زمنا طويلا يحكمون على معتنقي الاسماعيلية بما جاء به اعداؤها اللداء ، اذ قد خفيت مصادرها كلها تقريبا في الشرق الادنى من جراء رقابة اهل السنة وتكتم الاسماعيلية . وقد جمعت بعض مقتطفات من اسماعيلية سوريا الوسطى. نشرها غويار Guyard ونشرت بعض المجلات الروسية قطعة او قطعتين اخريين وجدتا عند اسماعيلية اسيا الوسطى ، وعثر غريفيني Griffini سنة ١٩٠٥ على عدد من مصنفات الاسماعيلية في اليمن ، واجمل بعضها في مقال . ثم كشف خلال السنين التالية بفضل جهود ايفانوف w. Ivanow والهمداني H. F. Hamdani - خصوصا - عن كنوز المكاتب الاسماعيلية في الهند . وعرفت هوية

(١) ١٤٠ وما بعدها .

بعض الكتب الاسماعيلية في مكاتب اوروبية واقتني بعضها . وقد
اصبح الان قدر لا بأس به من هذه المؤلفات متيسرا في مجاميع خاصة
وعامة طبع عددا منها وترجمها ودرسها علماء مختلفون .

على ان القسم الاعظم من مادة الاسماعيلية الجديدة دينية
وفلسفية في طبيعتها . ومن الغريب انها لم تضاف الى معلوماتنا عن
الطور الاول لتأريخ الفرقة الاشينا يسيرا . زد على ذلك انه ليس
هناك كتاب يرجع الى ما قبل حكم اول خليفة فاطمي ، اذا استثنينا
أم الكتاب لاسماعيلية اسيا الوسطى ، وأن كتبهم تمثل مرحلة الدعوة
الفاطمية الرسمية في عهد ضعفها أكثر مما تمثلها في عهدها الثوري
الاول (١) .

والكتاب الاسماعيلي الرئيسي في التأريخ هو عيون الاخبار
للداعي ادريس اليماني ويقع في سبعة مجلدات ، ويبحث في تأريخ
الاسماعيلية منذ زواج الامام علي حتى عصر المؤلف (القرن التاسع
الهجري - القرن الخامس عشر الميلادي) وما زال مخطوطا ، عدا
بعض مقتطفات نشرها الهمداني في مجلة الاسلام Der Islam «
ولم استطع ان احظى بنسخة منه .

واقدم من هذا الكتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة للقاضي
نعمان قاضي قضاة المعز (٢) . وهو في تأريخ الدعوة الفاطمية في
اليمن وشمال افريقية حتى تأسيس الخلافة ، وله قيمة كبرى .

وهناك كتابان حديثان باللغة العربية يعتمدان مباشرة أو
مداورة على ما مر من كتب الاسماعيلية وغيرها ، وضعهما

(١) ايفانوف : 62 , Guide

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٤٠ .

اسماعيليان احدهما في الهند والآخر في سورية . اولهما رياض الجنان لشرف علي السيدبوري Sidhpouri طبع في بومباي سنة ١٢٧٧هـ - ١٨٦٠م . وقد توجه به مؤلفه الى جمهور المسلمين عامة ولم ينوه بأنه من الاسماعيلية ولكن الميل الاسماعيلي فيه قوي بارز . وقد اعتمدت فصوله التاريخية على مصادر الاسماعيلية . وفيه بعض الفقرات الهامة رغم طبيعته الظاهرية التي لا تترك مجالا للكشف عن أي شيء هام .

والثاني كتاب الفلك الدوار في سماء الائمة الاطهار ، وهو عرض عام للاسماعيلية . طبعه الشيخ عبد الله بن مرتضى الوكيل الاسماعيلي في خوابي في حلب سنة ١٣٥٦هـ ١٩٣٣م . ويظهر ان المؤلف قد اطلع على كتب البهرة واعتمد كثيرا في قسمه التاريخي على مصادر سنية ، وهو قسم قليل الاهمية .

وهناك ، عدا الكتب التاريخية الخالصة ، عبارات واشارات تاريخية عرضية في كتب العقائد والدين ، قد تكون اكثر ثقة وأقوى معتمدا من الكتب التاريخية الخالصة ، وذلك لان الكتب التاريخية يفترض فيها ان تكون ظاهرة ، أما الكتب السرية في الحقائق والعقائد فانها باطنية في الغالب ، وضعت لنخبة خاصة من الناس . ولهذا فقد تنطوي على معلومات خافية على الجماهير . وأظهر مثال لذلك ، العبارة التاريخية الموجزة في غاية المواليد ، وهو كتاب سري في العقيدة ، ففيها اعتراف بأن عبيد الله المهدي لم يكن علويا . وهذا دون شك تنكره انكارا شديدا مؤلفات القاضي نعمان وعيون الاخبار ومؤلفات الاسماعيلية الحديثة وان كان من المحتمل ان القاضي نعمان نفسه - وهو ممن لم يبلغ المرتبة العليا في الدعوة - لم يشعر بهذا الانكار .

وعلينا ان نجعل بين المصادر الاسماعيلية رحالتين كليهما متحمس للفاطميين : احدهما ابن حوقل المتوفى في أواخر القرن

الرابع الهجري او العاشر الميلادي : والاخر - وهو قوي الايمان
بالاسماعيلية - ناصر خسرو المتوفي سنة ٤٨١ هـ ١٠٨٨ م . فاننا
نجد في رحلتيهما اوصافا قيمة عن دولة القرامطة في البحرين
ونظامها الداخلي لمشاهدين غير متحاملين ولم يسبقهما اليها احد .

ونستطيع ان نجمع معلومات وافية من كتب المجاميع التي ان
لم تكن اسماعيلية حقا فانها ذات علاقة قريبة بها . واشهر هذه
المجاميع رسائل اخوان الصفا ، وفيها بعض لمحات ذات قيمة تاريخية .
وكتابات الدروز الدينية التي تمثل نهجا اسماعيليا قديما خالصا
نوعا ما ، اقل تحفظا من الكتابات الفاطمية الرسمية لكونها كتابات
فرقة سرية . وهي اكثر نفعا من سابقتها في هذا الموضوع .

هذه هي المصادر التي تروي لنا قصة الحركة الباطنية - القصة
التي تعج بالمتناقضات والخلافات الداخلية المملوءة بالمسائل التي لم
تقصر بعد . ومهمتنا هي ان نحاول اعطاء بيان مفصل واضح
للحوادث التي تسردها هذه المصادر بتقييمها تقييما نقديا ومقارنة
بعضها ببعض .

ولعله من المفيد ، قبل ذكر ما يعترضنا من المشاكل والسمي
الى حلها ، ان نستعرض ما يعترض طريقنا من صعوبات رئيسية
بايجاز .

اولاها ، وقد اشرنا اليها ، جهل الكتاب المناوئين للباطنية
وتعمدهم الدس والاساءة احيانا ، وهؤلاء يكونون جانبا مهما من
مصادر معلوماتنا .

وثانيتها ، طبيعة الحركة السرية الباطنية نفسها اذ هي تخفي
عقائدها وشخصياتها لا على اعدائها فقط بل حتى على قسم كبير من
اتباعها الذين لم يطلعوا على الاسرار الداخلية . ولهذا فكثير من

كتب الباطنية ، يعتمد اخفاء بعض الحقائق الحيوية بل ان هذه الكتب لتموها اذا ارادت ذبوعها وانتشارها بين الجماهير .

وثالثتها ، ان ما ألمّ بالحركة من مشقة واضطهاد جعل كثيرين من اشهر زعمائها يتخفون في أمكنة مختلفة بأسماء مختلفة موهت شخصياتهم الحقيقية .

ورابعتها ، عقيدة التفويض الغربية أو التبني الروحي الذي جعل كلمة أب أو ابن قد تدل على الصلة بين المعلم وتلميذ أكثر مما تدل على الابوة والبنوة ، مما أحاط - كما سنرى - غالبية أنساب الباطنيين بالشكوك والشبهات ، وزاد العناء في التعريف بالأشخاص المختلفين .

ومعضلتنا الكبرى انما هي في التصنيف والتحقيق . فقد كانت الحركة الباطنية في عصور نشاطها - لسعة انتشارها وسريّة دعوتها - تتشعب الى جماعات متميزة كثيرة ، بأسماء وتقاليد محلية مختلفة ، بعضها يكون جزءا من المنظمة الرئيسية وسائرهما فروع تابعة للمراكز الاساسية ولكن بعد الشقة وصعوبة المواصلات باعدتا بين طبائعها بعامل المؤثرات المحلية . وهناك فرق أخرى لا علاقة لها في اصلها بالباطنية ألقت زمامها اليها وخضعت لسلطانها المركزية . الا ان هذه السلطة كانت اسمية في الغالب ، من فرق لها شيء من العلاقة الفعلية بالباطنية ، أو ليست لها هذه العلاقة ، ولها أصل وطبيعة مستقلين كل الاستقلال . ولئن كان قد حدث شيء من التعاون العرضي بينها وبين الباطنيين فان العلاقة بينهما غالبيتها من نسج خيال اعداء الباطنية وتصوراتهم . ونستطيع ان نقول ونحن واثقون بأن الخرمية وفرقا هرطقية إيرانية بحثة هي من هذه الجماعة الأخيرة .

لقد أوجد التباين في العقيدة والاقليم أسماء كثيرة ينسبها أكثر المحققين الى هذه الفرقة أو تلك دون تخصيص ، مما سبب تشويشا

والتباسا شديدين . وفي كتاب سياسة نامه وكتاب ابن الجوزي قوائم طويلة يمثل هذه الاسماء مع استعمالاتها المحلية . وسنطلق اسم الباطنية على جميع الحركات التي نتعرض لها في هذا الكتاب لنفحاشى التشويش والالتباس ، اذ هو اوسع انتشارا واكثر قبولا . واذا ورد غيره فسنحدد المراد منه .

نستطيع ان نميز مما اورده لنا مصادرنا من اخلاط الفرق وفروعها اربع جماعات رئيسية ، كل واحدة منها تكون وحدة متميزة ، لها طبيعة منسجمة قليلا او كثيرا ، ولها تاريخ خاص بها وتقاليد . وأن العلاقة بين هذه الحركات هي عقدة المشكلة . والجماعات الاربع هي :

١ - الدعوة الاسماعيلية في طورها الاول : اي حينما كانت تركز على اسماعيل بن جعفر وابنه محمد وجماعتها التي التفت حولهما في بادئ الامر في القرن الثاني للهجرة . ونجد هذه الجماعات في مصادر الشيعة الاثني عشرية .

٢ - الدعوة منذ بدايتها في اليمن بزعامة منصور اليمن الشهير واستمرارها في شمال افريقية بزعامة ابي عبد الله الشيعي حتى بلوغها الذروة بتأسيس الخلافة الفاطمية .

٣ - حركة الهلال الخصيب او القرمطية - كما تدعى احيانا - التي عاثت في سورية فسادا بقيادة زكرويه بن مهرويه وأولاده من سنة ٢٨٩هـ الى ٢٩٤هـ (٩٠١ - ٩٠٦) م .

٤ - القرامطة : اي الحركة في البحرين بزعامة ابي سعيد وأبي طاهر وأخلافهما .

تظهر هذه الجماعات الاربع في مصادرنا جميعا . واذا اختلفت - قديمها وحديثها - فانما تختلف في تحديد العلاقات بينها ، وفي تعيين نسبة شخصياتها البارزين الى احدها كعبد الله بن ميمون .

وعلى مدى صحة اجابتنا عن هذه المسائل تتوقف المشكلة المتنازع فيها حول حق الفاطميين الشرعي . وسنسمي الجماعات الاربع فيما يلي من الصفحات بالاسماعيلية والفاطمية والهلال الخصيب والقرمطية .

وقد يكون من النافع ان نجمل آراء غيرنا في هذه المشكلة قبل ان ندلي بآرائنا . اما المصادر العربية فقد فرغنا منها فيما تقدم ، فالطبري يرى ما يدعيه الفاطميون انفسهم ، أي انهم أخلاف الجماعة الاولى ، ويعتبر الجماعتين الثالثة والرابعة جماعة واحدة منفصلة عن الاولى ، ويعتبر الجماعتين الثالثة والرابعة جماعة واحدة منفصلة عن الاولى والثانية انفصالا تاما . وثابت بن سنان يفترض علاقة ولكنه يوافق الطبري فيما عداها . وابن رزام وجميع من تبعه يسوون بين القرامطة والفاطميين ويعتبرون عبد الله بن ميمون من القرامطة ويجعلونه الجد الحقيقي للخلفاء الفاطميين . وعلى هذا فهم ينكرون أي علاقة للقرامطة او الفاطميين بالجماعة الاولى . او بتعبير أحسن يعدونهم منتحلين لادعاءات أسرة اسماعيل . ويدور أكثر الجدل حينئذ في هذه الانساب . أما أولئك الذين يعترفون بالحق الشرعي للفاطميين فانما يعترفون به لئلا يكرههم أي صلة بينهم وبين القرامطة أو عبد الله بن ميمون .

اما الباحثون الاوروبيون فقد تباينت آراؤهم (١) . فقدمائهم امثال دو ساسي ودوزي وهامر وكاترمير وكويرد وبلوشيه ودوخيه - يميلون الى الاعتماد على رواية ابن رزام في الجملة اعتمادا كبيرا وعندهم ان الاسماعيلية والقرمطية والفاطمية اسماء مختلفة لصيغة واحدة بدأت منذ أن وجدت ، جماعة منفصلة تنتحل ادعاءات الامام اسماعيل ضد اخوته ، أعاد تنظيمها العبقري الماكر عبد الله ابن ميمون القداح ، المارق عن الاسلام الذي تألق نجمه خلال القرن

(١) عن هذه الاشارات العامة انظر ثبت المراجع والمصادر .

الثالث الهجري وجعل لها عقيدة وطبيعة تنظيمية خاصتين ويتفق هؤلاء الاوروبيون في هذا اتفاقا تاما ولكن ذو ساسي وبلوشييه يرجحان رغم هذا ان الفاطميين علويون حقا ، وهو ترجيح يرفضه نوزي وكاترمير وكوبرد وبنو خويه .

ولكن ظهور مصادر جديدة غير وجهة نظر المستشرقين بعض التغيير . واول تغيير جوهري ظهر عند كازانوكا ، فبينما هو يعترف بان القرمطية والفاطمية حركة واحدة ، اذا به يرى ان القرامطة جماعة منفصلة من اصل اقدم ثم انضمت الى الاسماعيلية اخيرا . ويضع عبد الله بن ميمون القداح جهوده في القرن الثاني للهجرة ، وينوط به خلق الحركة الباطنية الموحدة بضم جناحي الحركة العلوية العظيمين وهما الفاطميون ، او اتباع احفاد فاطمة والحنفويون او اتباع محمد بن الحنفية . وان القرامطة يرجعون الى الحنفية بكل تأكيد .

ويشايح ايفانوف المدافعين المحدثين عن الاسماعيلية فينفي كل صلة بين الاسماعيليين الفاطميين والقرامطة ، ويؤكد بان الفاطميين يرفضون القرامطة بقدر ما يرفضهم اهل السنة ، وان هناك فرقا كبيرا في العقيدة ، وان كتابات الاسماعيلية خالية من اسم عبد الله بن ميمون وندنان وغيرهما ، مما يدل على ان هؤلاء لا صلة لهم بالاسماعيلية الاولى . ولا يتردد ايفانوف في قبول نظرية الحق الشرعي للخلفاء الفاطميين .

اما عند ماسينيون فالاسماعيلية والقرمطية والفاطمية حركة واحدة اوجدها اسماعيل واستاذة وهاديه ابو الخطاب ومعاصرون اخرون ، في القرن الثاني للهجرة (القرن الثامن للميلاد) . والخلفاء الفاطميون من نسل ميمون القداح . ويؤكد ماسينيون ، مع هذا أهمية التفويض في العقيدة الاسماعيلية الذي يجعل الوارث الحقيقي للتلميذ

لا الابن الطبيعي . وعلى هذا فالخلفاء الفاطميون علويون بالتفويض
وعبد الله بن ميمون القداح - بتفويض محمد بن اسماعيل - ابن
وارث له .

وعند جويدي أن أول باعث للحركة كان أبا الخطاب ، أحد
اتباع جعفر واسماعيل . وكان قد تأثر تأثراً قوياً بالخرمدينان
وبغيرها من هراطقة الفرس ، وأنه هو الموجد الحقيقي للاسماعيلية ،
وأن أحد أتباعه - وهو عبد الله بن ميمون موجد القرمطية ، وأن
الخلفاء الفاطميين هم أحفاد عبد الله وأن دولتهم جزء من الحركة
القرمطية . ولما تأسست الاسرة الفاطمية الحاكمة طرأ على العقائد
القرمطية بعض الاعتدال فحصل صدام بين المعتدلين منهم والمتعصبين
في الشرق .

وهناك رأي آخر نذكره مجملاً هو رأي الامير مامور . يسلم
الامير بتحدر الخلفاء الفاطميين من ميمون القداح . ولكنه يدعي بأن
القداح نفسه كان علوياً بل هو محمد بن اسماعيل نفسه ولا يمكن
أن يكون غيره ، وأن القرامطة شعبة مارقة انسلخت عن الدعوة
الاسماعيلية . وقد اشار الاستاذ جب (١) Gebb الى أن
مامور قد وضع قضيته موضعاً ضعيفاً جداً حين جعل هذا الدفاع
هو الدفاع الاخير عن صحة نسب الفاطميين .

بقي علينا ان نجمل رأينا في هذه المشاكل ، معتمدين اعتماداً
كبيراً على بحوث ماسينيون وكازانوفسكا وايفانوف والهمداني
وغيرهم ، وعلى عدد من مصادر جديدة . وفصولنا التالية انما تمثل
محاولة لاثباتها .

١ - ابتدأت الحركة الاسماعيلية بجماعة اسماعيل بن جعفر بمؤازرة فعالة من اسماعيل نفسه وابنه محمد . وكان بين جماعة اسماعيل وحمد ومنظمي الفرقة الاولين ابو الخطاب وميمون القداح وعبد الله بن ميمون .

٢ - والحركة الفاطمية في اليمن وافريقية هي الاستمرار المباشر للحركة التي نظمها اسماعيل وابو الخطاب وميمون القداح وكان عبيد الله المهدي خليفة ميمون من بعده في القيادة . والخلفاء الفاطميون مع هذا ، علويون خالصون ، وأولهم القائم من نسل الائمة المستورين الذين عمل لهم عبيد الله وأجداده القداحون .

٣ - وليس ضروريا أن نفهم من هذا أن القرمطية = الاسماعيلية . أجل ان عبد الله بن ميمون أحد مؤسسي الاسماعيلية ولكن علينا ان ندلل على علاقته بالقرامطة .

٤ - كان قرامطة الهلال الخصيب قسما من الدعوة الاسماعيلية .

٥ - كانت الحركة القرمطية في البحرين منفصلة في اصلها - وربما كانت حنفية او اسماعيلية متشعبة - ثم انضوت جماعة تحت لواء الخلفاء الفاطميين ، الا انها ظلت محافظة على شخصيتها . وقد يرجع تاريخ لفظ القرامطة الى ما بعد انضمامهم الى الاسماعيلية .

٦ - ان النضال الاخير بين القرامطة والفاطميين كان بسبب الانشقاق بين المعتدلين منهم والمتطرفين بعد تأسيس الدولة الفاطمية .

* * *

٤ - اصول الاسماعيلية

أ - تمهيد :

قبل ان نبداً بالتحقيق في اصول الاسماعيلية علينا ان نشرع ببحث تمهيدي في الفرق الشيعية ووجهات النظر في الاصل الذي نشأت منه هذه الحركة . ان تاريخ التشيع في القرن الاول لا يزال يتطلب تمحيصاً كثيراً . ويجب اعتبار ما يلي من البحث محاولة ذات قيمة موقوتة (١) .

بدا التشيع بوفاة محمد (ص) حركة سياسية محضة ، تطلب ان يكون علي خليفة للرسول . وكانت خلال عهدهما الاول عربية تفصح عن مطامع شرعية ولم تتأثر بأفكار اجتماعية ودينية ولا بمشاكل عالم الشرق الأدنى . وقد حافظ التشيع في النصف الاول من القرن الاول الهجري على هذه الطبيعة غير الدينية . ولم يختلف انصار علي والعلويون - أهل النص والتعيين ، كما كانوا يسمون - عن سائر الامة من حيث المعتقدات الدينية بوجه من الوجوه . واعتبر الناس حزبهم تشيعاً حسناً . وكانت هذه الفئة عربية خالصة لم

(١) لقد اعتمدنا في تفاصيله على كتاب الشيعة للنويختي وهو اغنى المصادر مادة وأوثقها رواية . ورجعنا الى مصادر أخرى خصوصاً الى بحوث فان فلوطن وفلهوزن وجويدي وغيرهم .

تحاول ان تكسب عطف الاجناس التي خضعت للعرب او ان تعطي
ببصرتهم (١) .

ويعد ان اقام المسلمون عشرات السنين في اكثر اقطار الشرق
الابنى ثقافة ، وحكموا اهلها ، نشأت ظروف جديدة وانتقلت الحركة
الى طور اخر يختلف عن طورها الاول كل الاختلاف ، فقد كدح
الشيعية - بعد ان اخفقوا وهم حزب عربي - الى ان يبلغوا النصر
ويحققوا لانفسهم الظفر وهم فرقة اسلامية . وكان استياء الموالي
والمظالم التي يشكون منها مرتما خصباً لكل حركة ثورية ، فما ان
اتجهت الحركة الشيعية اليهم اتجاها قويا حتى التف حول فرقتهما
جمع غفير منهم في اجزاء كثيرة من الامبراطورية . فكان لزاما
ان يؤدي انضمام عدد كبير ممن لم يصح اسلامهم ولم يدخل الايمان
في قلوبهم من الفرس والارمن والسوريين وغيرهم ، الى تغيير
جوهرى من حيث العقائد والاعراض . اذ سرعان ما اخذت موجة
زاخرة من المعتقدات الغريبة طريقها الى المذهب الشيعي متسللة من
المسيحية والايروانية وهراطقة بابل القديمة . واصبحت مقاليد
الحركة بيد الموالي وغيرهم من الطبقات المضطهدة وسيلة توسلوا
بها واتخذوها ذريعة في ثوراتهم الاجتماعية والدينية ضد ظلم
الدولة السنية .

ولكن حينما اخذ التمايز العنصري بين العرب والموالي يزول
شيئا فشيئا ويحل محله التمايز الاقتصادي بين اصحاب الامتيازات
والمحرومين منها ، اصبح الشيعة الثوريون لا يمثلون الموالي وحدهم
بل اصبحوا لسان حال الطبقات المظلومة كلها . فصار وراثتيو

(١) فان فلوطن ٢٤ وما بعدها . جويدي R. S. O. 13 , 14 , etc

Storia , 307 ff :

الطبقات الراقية من الفرس سنة وبقوا على امتيازاتهم (١)،
وأخذ فقراء عرب العراق وسورية والبحرين بالآراء الشيعة
المتطرفة .

وكان ظهور فكرة المهدي إحدى العلامات الفارقة لتغيير التشيع
العربي إلى تشيع الموالي . ذلك أن الإمام الشيعي ، بعد أن كان
مثلا سياسيا للدولة ، أصبح شخصية غامضة ذات أهمية دينية
كبيرة ، كانت في أول الأمر مسيحا ثم صارت الها مجسدا . وقد
نسبت هذه العقيدة إلى أصول مختلفة : فدارمستتر (٢) ينسبها إلى
أصل فارسي ، فيقول جاء بها إلى الاسلام جماهير من الفرس لم
يكتمل اسلامها حملت معها الفكرة الآرية القائلة بوجود أسرة
مختارة ذات نشأة الهية تتوارث نور الله (فريزدان) من جيل
إلى جيل حتى تنجب أخيرا (سائوشنت) أي المسيح . وقد انتقلت
هذه الفكرة إلى أسرة النبي وشخص علي . وستوك (٣) ينسبها
إلى أصل مسيحي مبني على فكرة عودة عيسى المسيح وفكرة نهاية
العالم . أما جویدی (٤) فيتابع دار مستتر ويذهب إلى أبعد منه إذ
يعزو نشوء الآراء الغالية إلى دعاية مثنوية مقصودة . ونجد
ماسينيون (٥) ، أخيرا ، يرجع بفكرة المهدي إلى الاسلام ، فيقول
إنها نشأت من القرآن وتقاليد المسلمين ومن القصص الشعبية
العربية ، وانتعشت بتأثير الأحوال الاجتماعية .

(١) صديقي ٦١ .

(٢) المهدي ١٥ وما بعدها .

(٣) Verspr. gesch , 1, 162

(٤) R. S. O. 4

(٥) محاضرات في الكلية الفرنسية : ١٩٣٦ - ٣٧ .

١ - (بدايات التشيع) - فكرة المهدي

وينسب كثير من المؤرخين المسلمين بدايات التشيع الثوري الى رجل اسمه « عبد الله بن سبا » ، وهو يهودي يمني عاصر علياً ، وكان يدعو الى تأليهه فأمر علي بحرقه لما دعا اليه . ومن هنا قيل : ان أصل التشيع مأخوذ من اليهودية (١) . ولكن التحقيق الحديث قد أظهر ان هذا استباق للحوادث وأنه صورة مثل بها الماضي وتخيلها محدثو القرن الثاني الهجري من أحوالهم وأفكارهم السائدة حينئذ . وأظهر فلهاوزن (٢) وفريدليندر (٣) ، بعد دراسة المصادر دراسة نقدية ، بأن المؤامرة والدعوة المنسويتين الى ابن سبا من اختلاق المتأخرين . وبيّن كايثاني (٤) ايضاً ، في فصل حسن الحجة ، أن مؤامرة كهذه ، بهذا التفكير وهذا التنظيم ، لا يمكن ان يتصورها العالم العربي المعروف عام ٣٥هـ بنظامه القبلي القائم على سلطان الابوة . وأوضح انها تعكس أحوال العصر العباسي الاول بجلاء . فقد اقتضى قتل الامام علي واستشهاد الحسين واتباعه المفجع في كربلاء حدوث تبدل اجتماعي كبير قبل ان يركن ظهور التشيع الثوري ذي الصبغة المهدية .

يحتمل ان تكون كلمة المهدي قد اطلقت على علي والحسن والحسين (٥) على انها من القاب التعظيم . أما مبدأ استعمالها بالمعنى « المسيحي » فقد ظهر - بلا جدال - في ثورة المختار (سنة ٦٦هـ - ٦٨٥م) الذي ادعى ان محمد بن الحنفية - احد ابناء علي

(١) الكشي ٧٠ - ٧١ ، وقد اضلت فان فلوطن مصادره فنسب دوراً هاماً للسبئية

(٢) Rel. Pol 91 . - Skiz , VI , 124 - 5 and 133.

(٣) Z. A. XXIII , 296 and XXIV ,

(٤) Annali , VIII , 36 FF.

(٥) سنوك ١٥٠ - مكبونالد : مقالة عن المهدي في دائرة المعارف الاسلامية .

من أم حنفية - هو المهدي المنتظر . لقد بدأت الثورة في الكوفة تلك المدينة التي هيأتها الظروف لتكون مصدرا لمثل هذه الحركة ومستقرا لها ، والتي كانت مدينة جديدة آخذة في التوسع ، يسكنها أناس من مذاهب وأجناس لا تحصى ، كلهم مضطرب مستاء يكره الحكوم والمذهب الذي تمثله والطبقة الطالمة التي تؤيدها .

مكذا كانت الكوفة حينما بدأ المختار ثورته فيها : كانت مرتعا مدهشا لحركات مختلطة العناصر ، مصطفىة بفكرة ظهور المسيح ، غرضها أحداث ثورة اجتماعية . ولقد كان استظهار المختار بالموالي في دعوته مطلع حركة خطيرة بعيدة الأثر . ولم يجد المختار رجلا في سن موافقة من سلالة فاطمة فاختار محمد بن الحنفية ليكون امامه المهدي . وجعله اسمى ممثلا للحكومة الالهية على الارض ، وخليفة علي والرسول بتفويض الهي . وانتشرت الحركة انتشارا سريعا على رغم القضاء على المختار و وفاة محمد . وادعى كثير من أتباعه أن محمدا لم يمت حقا ، لكنه في غيبة وسيعود يوما ليملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا (١) . ومن هنا ظهرت لأول مرة عقيدة الغيبة والرجعة المهديتين اللتين هما من خصائص جميع الفرق الشيعية المتأخرة تقريبا .

وفي خلال السبعين سنة ونيف التي مرت بين ثورة المختار وبداية ظهور الاسماعيلية بمفهومها الخاص وجدت نزعتان رئيسيتان بين الفرق الشيعية الغالبة ، يصح تسميتها بالفاطمية والحنفية - ولا تلتبس هذه التسمية بالمدرسة الشرعية الحنفية - كان أصحاب النزعة الاولى اتباع الأئمة من سلالة علي وفاطمة أي الحسن والحسين وذريتهما . وأصحاب النزعة الثانية أتباع محمد بن الحنفية ومن خلفه من عقبه . ولم يكن التمايز بين هذين الفريقين ثابتا بحال من الأحوال . ويبدو أن مئات من الاتباع كانوا ينتقلون من جانب إلى

(١) حديث يتصل بفكرة ظهور المهدي تردّد ذكره في كتب الشيعة .

آخر بسهولة ويسر . ويظهر ان الفاطمية كانت في عصرها الاول تمثل الطرف المحافظ ، وكانت لا تزال تقذف من اتباعها فئات صغيرة تجتذبها الحنفية الغالية . ولما زالت الحنفية من الوجود أصبحت الفاطمية - بعد ان استغرقت بقايا الحنفية - هي الفرقة الغالية بين الشيعة ، وواصلت النضال القديم ضد فرقة الاثني عشرية المعتدلة الجديدة .

وقد فقدت الحنفية بعد تولي العباسيين السبب الذي يبرر وجودها . وكان من نصيب اسماعيل ، الامام الفاطمي السابع ، مع طائفة من اصحابه ان يؤلفوا بين الطوائف المختلفة المتخاصمة ويعززوا كيانها بحركة كبيرة واحدة تدعن بالطاعة لامام واحد ، وتدين بعقيدة واحدة .

٢ - المذاهب والاتجاهات الشيعية

وينبغي ان يلاحظ ان هذا البحث لا يتناول الا الشيعة الغلاة ولا يعني باولئك الذين حافظوا على تقاليد التشيع السياسي القديم ولو بشيء من التحوير ، امثال الزيدية . ولا يعني بالشيعة الاثني عشرية .

كانت الفرق خلال عصر تأليفها الذي اشرنا اليه ، كثيرة لا تحصى ، وكان يظهر ، من آن الى آن ، أشخاص عديدون يدعون الانتساب الى علي ويحملون علم الثورة ثم يصبحون - بعد اخفاقهم - من شخصيات الاساطير والخيال . ويقوم ايضا ، من حين الى حين ، داع متحمس ينسب سيده العلوي ويدعو لنفسه . وقد زاد التحكاية تعقيدا عدد من فرق فارسية ونصرانية ويهودية لا تمت الى الاسلام بصلة ، ولكنها شاركت غلاة الشيعة بعض عقائدهم ، فخلط بينها المؤرخون من اهل السنة . واخص هذه الفرق هي : الخرمديان والمزكية والميسوية (من هراطقة اليهود) .

ولنبدا بالمهمة موجزة عن سلالة الحنفية ، اذ لها بعض الاهمية في اظهار اصل كثير من الافكار الخاصة بالاسماعيلية قبل منشئها . وتبدأ هذه السلالة كما رأينا بالمختارية وتسمى أيضا بالكيسافية ، فسية الى كيسان وهو اسم آخر للمختار (١) . وقد افترقت بعد وفاة محمد بن الحنفية الى ثلاث فرق :

١ - الكربية (٢) : وهم اصحاب ابن كرب وحمزة بن عمار البربري (٣) ، وقد زعم هؤلاء أن محمد بن الحنفية لم يمت وانما اختفى وسيرجع لتأسيس مملكة الله على الارض . ثم ادعى حمزة أن محمد بن الحنفية هو الله وأنه هو نبيه . ومن الكربية رجلان يقال لاحدهما صائد وللآخر بيان (٤) . وقد انشأ بيان فرقة باسمه .

٢ - الفرقة (٥) القائلة بأن محمد بن الحنفية غائب في جبل رضوى بالحجاز وسيرجع بعد الغيبة فيملا الارض عدلا (بعد ان ملئت جورا) ، وكان السيد الحميري الشاعر منهم ثم انتمى الى جعفر الصادق .

٣ - الهاشمية (٦) : وهم اتباع ابي هاشم . قالوا بانتقال

-
- (١) هذا أحد الاشتقاقات المقترحة لهذا الاسم .
 (٢) النوبختي ٢٥ - الأشعري ١٩/١ - البغدادي ٢٧ .
 (٣) النوبختي ٢٥ منهاج المقال ١٢٦ .
 (٤) النوبختي ٢٥ ، ٣٠ - البغدادي ٢٢٧ ، الترجمة ٤٦ - الشهرستاني ١١٢ ، الترجمة ١٧١ - فريد ليندر : ابن حزم ٦٠/١ - الأيجي ٢٤٤ - الملطي ١١٨ - الأشعري ٥/١ - الكشي ١٨٨ و ١٩٥ وما بعدهما - منهاج المقال ٧٦ . وعن صاعد انظر : الكشي ١٨٥ و ١٩٧ ، ومنهاج المقال ١٨١ .
 (٥) النوبختي ٢٦ - ١٩/١ - ٢٠ - المسعودي : مروج الذهب ١٨٢/٥ - الشهرستاني ١٦٨/١ .
 (٦) النوبختي ٢٧ - الأشعري ٢٠/١ .

الامامة من محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم . وزعم بعضهم انه المهدي حقا وتفرعت شيعته الى اربع فرق بعد موته سنة ٩٨هـ - ٧١٦م وهي :

(أ) فرقة قالت ان ابا هاشم اوصى الى اخيه علي بن محمد ، ثم اوصى علي بالامامة الى بني العباس .

(ب) فرقة قالت انه اوصى الى عبد الله بن معاوية من ولد ابي طالب والد علي . وسمى اصحابها بالحارثية نسبة الى عبد الله بن الحارث . وكان هذا غالبا من اهل المدائن اوجد فرقة خاصة به ثم انضم الى عبد الله بن معاوية . ويظهر ان الفرقتين هما الحربية والجناحية نفسيهما (١) .

(ج) فرقة زعمت ان الخليفة بعده هو محمد بن علي العباس . وذلك ان ابا هاشم اوصى له بالامامة في الشام . ومؤلاهم الراوندية ، الذين لهم صلة وثيقة بقيام الاسرة العباسية (٢) .

(د) فرقة قالت ان الامام القائم المهدي هو ابو هاشم وسيرجع ، ولا وصي بعده . ومنهم بيان ادعى ان خليفته من بعده وقد قبض عليه وصلب سنة ١١٩هـ - ٧٣٧م (٣) .

ان كل هذه الفرق - على ما تقوله مصادرنا - بشرت بعقائد غالية ونسبت للامام قوى خارقة واعمالا معجزة . وذهب بعضها مثل

(١) الاشعري ٢٢٠٦/١ - منهاج المقال ٢٠١ - البغدادي ٢٢٣ ، الترجمة

٥٦/٢٣٥٦ - النويختي ٢٩ - فريد ليندر : ابن حزم ٤٥/١ و ١٢٥/٢

- ٦ - الشهرستاني ١١٢ ، الترجمة ١٧٠ - الايجي ٢٤٥ - اقبال :

Miscellany , 924

خندانى ٤٠٢٥٢ . انظر ايضا ترتن :

(٢) النويختي ٢٩ و ٤١ - الاشعري ٢٠/١ - ٢١ و المتوسع انظر فان فلوطن

Opkonist

في غير محل واحد .

(٣) النويختي ٣٠ .

الكربية الى ابعد من ذلك فالهته ونسبت نظريات اباحية الى كثيرين منهم ، كحمزة بن عماره الذي قيل انه نكح ابنته ، وأحل جميع المحارم وادّعى ان الفريضة الوحيدة هي معرفة الامام (١) (فمن عرفه فليصنع ما شاء) . وقد لعبت عقيدة الغيبة والرجعة دورا خطيرا في حياة هذه الفرق .

ومما يسترعي الاهتمام فكرة تفويض الامامة والوصاية بها . ومن هنا منح ابو هاشم حقوقه للعباسيين ، وادعى بيّان ان الامام نصبه خليفة . وقد طرأ على هذه الفكرة تطور كبير في النظام الاسماعيلي .

هذه اذن هي الفرق الرئيسية لسلالة الحنفية . وباستيلاء العباسيين على الحكم - وكانت حركتهم فرعا من التشيع الحنفي - اختفت الحنفية بعد اختلاجات واهية اخيرة ، واستقطبت الدعوة الفاطمية من بقي من العاملين عليها .

ب - الفرق الحسنية

وقبل ان ننقل الى الكلام على السلالة الفاطمية الحسينية نشير بايجاز الى الفرق المتصلة بذرية الحسن - الابن الثالث لعلي . لقد عظم شأن الذرية بقيام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي المعروف بالنفس الزكية (١٠٠ - ١٤٥ هـ - ٧١٨ - ٧٦٢ م) . وقد ادعى محمد النفس الزكية بأنه المهدي ولما يتجاوز عمره التاسعة عشرة . وعمل على نشر هذه الادعاءات المغيرة بن سعيد العجلي مؤسس الفرقة المغيرية . وقال اتباعها ان محمد النفس الزكية هو المهدي وان المغيرة نبي . فلما توفي محمد ادعوا بأنه في الغيبة وانه سوف يرجع . وكان المغيرة مولى خالد القسري طلبه حين

سمع بأمره وقتله سنة ١١٩ هـ ٧٢٧ م . ويظهر ان لهذه الفرقة اثرا كبيرا في تطور الافكار الباطنية ، وتعتبر احيانا شعبة من الخطابية . ومما يجب التنبيه اليه ان النفس الزكية نفسه لم يكن يمثل الى الاعتراف بالمغيرة (١) .

ج - السلالة الفاطمية

كانت السلالة الفاطمية بعد فاجعة كربلاء في همود مؤقست لفقدان الداعين البالغين . واول حركة خطرة اعقبت هذا الهمود هي حركة زيد بن علي زين العابدين وابنيه يحيى وعيسى . وقد اطلق اسم زيد على فرقة شيعية هي الزيدية . وهي ما زالت دائبة على تقاليد التشيع السياسي العربي ، ولا تختلف عن السنة في المذهب الا قليلا .

وفي حياة محمد الباقر الامام الفاطمي الخامس ، كثر اتباع السلالة الفاطمية كثرة هائلة وتشعبت منهم فرقة هامة واحدة على الاقل هي المنصورية . وهؤلاء هم اتباع ابي منصور العجلي الذي دعا الى امامة محمد الباقر ثم ادعاها لنفسه (٢) ويعتقد ان هذه الفرقة كانت تبشر بالمادية الفلسفية وانها استباححت الموبقات - الا النوبختي - كما جوزت خنق مخالفينها وقتلهم بالاغتيال . وقد سبقت هذه الحركة تطورات الاسماعيلية في مناحي عدة ، وعدها ابن

(١) النوبختي ٣٧ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ - الشهرستاني ١٣٤ ، الترجمة

٢٠٢ - البغدادي ٢٢٩ ، الترجمة ٤٩ - الملطي ١٢٢ - الاشعري ١/٦

- فريد ليندر : ابن حزم ١/٥٩ - الايجي ٢٤٤ الكشي ١٤٥ - ميزان

الاعتدال ١٩١/٢ - اقبال : خندان ٢٦٤ .

(٢) ادعى ابو منصور ، على ما يقول النوبختي ، بانه خليفة محمد النفس الزكية .

حزم فرقة من الخطابية . ولما وقف يوسف بن عمر الثقفي والي العراق على امرها اخذ ابا منصور وقتله حوالي سنة ١٢٥ هـ ٧٤٢ م ، ولاحق اتباعه واكل بهم (١) .

ولما توفي محمد الباقر افترق عنه بعض اتباعه وادعوا امامة محمد النفس الزكية . وكذبهم جعفر الصادق الامام الفاطمي السادس ورفض هو واتباعه مؤازرة الداعي (٢) . اما سائرهم فقد تبعوا جعفر الصادق وقالوا بامامته وظلوا على ولائهم له . وكان من ابرزهم رجل يقال له ابو الخطاب الذي اسس له فرقة الخطابية وقد تفرقت شعبا عدة فيما بعد .

ولما توفي جعفر في المدينة عام ١٤٨ هـ - ٧٦٥ م حدث انشقاق خطير جعله النوبختي (٣) ست فرق يمكن ان نجملها في ثلاث جماعات هي :

١ - الفاوسية : وهم الزاعمون بأن جعفر لم يموت ولا يموت وهو القائم المهدي وسوف يرجع (٤) .

٢ - اتباع موسى الكاظم بن جعفر الصادق : وهم الشيعة الاثنا عشرية او المعتدلون ، ولا يتناول بحثنا فرقهم الفرعية .

(١) النوبختي ٣٤ - الشهر ستاني ١٢٥ ، الترجمة ٢٠٥ - البغدادي ٢٢٤ ، الترجمة ٥٧ - فريد لينتر : ابن حزم ٦٢/١ - الايجي ٢٤٥ - الملطي ١٢٠ - الكشي ١٩٦ - الاشعري ٩/١ - كولنزيهر : Z. A. XXII , 339 , N. 4 .

(٢) النوبختي ٥٤ - لاحظ شرح اصطلاح كلمة رافضة : من رفض ، اي رفض جعفر مساعدة النفس الزكية .

(٣) ٥٧ .

(٤) الاشعري ٢٥/١ - الفهرست ١٩٨ .

٣ - الاسماعيلية : وهم القائلون بامامة اسماعيل اكبر ابناء
جعفر ثم بامامة ابنه محمد بعد وفاة ابيه اسماعيل .

وسرعان ما انقرضت اولى هذه الجماعات . ونشأت من الثانية
الشيعية الاثنا عشرية المعتدلة . اما الثالثة فقد احتفظت بالتقاليد
الرئيسية للتشيع الثوري وهي موضوع بحثنا المفصل (١) .

ب - بواكير الاسماعيلية

كانت الظروف والاحوال في الربع الثاني من القرن الثاني
للهجرة مؤاتية لاستئناف الحركات الثورية واعادة توجيهها . فقد
ادى تسلم العباسيين الحكم سنة ١٢٢ هـ - ٧٥٠ م الى تغييرات
جوهريّة عدة أهمها ، كما اشرنا سابقا ، فوز الحزب الهاشمي

(١) لم أتعرض فيما سبق للفرق غير الاسلامية . ولكن تجدر الإشارة الى
فرقتين منها ، احدهما قبل الاسلام ، نظرا للاسلوب المهم سبقنا به
تطورات الاسماعيلية وربما اثرتا به عليها .

اولهما : المزدكية ، وهي فرقة الحاديّة ايرانية دعت الى نوع من
الشيوعية الدينية . والكتاب الذين ينسبون للاسماعيليين عقائد واعمالا
شيوعية يعزونها عادة الى اصول مزدكية . انظر صديقي
Mouvements , etc وثانيتها : الفرقة

اليهودية العيسوية ، ومؤسسها ابو عيسى ، يهوديا اميا يحترف الخياطة
في اصفهان . وقد ادعى أنه المسيح في ايام عبد الملك بن مروان
(٦٥ - ٨٦ هـ - ٦٨٨ - ٧١٥ م) . وكان يحرم الخمر واعتقد بتطور
الانسان وقد حاول ان ينهض باصلاحات عدة ، وقد اعترف بعيسى
ومحمد نبيين صانقين بالنسبة لمن يعثا اليهم ، وأوصى أتباعه بقراءة
الانجيل والقرآن . وبهذا يكون قد وضع ، منذ ذلك التاريخ القديم ،
عقيدة الاسماعيلية المتأخرة في نسبية الاديان والنبوة (انظر الفصل
الرابع) . ولما قضى عليه قال أتباعه انه في الغيبة . انظر المقال في
دائرة المعارف اليهودية وتاريخ اليهود ادينوف ٢٣٨/٣ .

الذي مثله العباسيون واصطباغ الفرقة بالطابع الرسمي ، الامران اللذان اديا الى نهاية سلالة المدعين من الحنفية وتركوا المجال مفتوحا للسلالة الفاطمية التي كان جعفر ابرز رجالها .

ثم ان الثورة العباسية اوجدت مرحلة جديدة في تاريخ الاسلام الاجتماعي والاقتصادي : فقد أنتج انصهار الطبقات الحاكمة غير العربية واندماجها بالدولة العربية السنية ، وازدياد التقارب والوحدة بين طبقات الرعية من العرب والموالي تقسيما جديدا للطبقات ، يعتمد على الاقتصاد اكثر مما يعتمد على النسب والعنصر ، كما كان في القرن الاول ، تقسيما مكنه وعززته انتقال الخلافة من دولة زراعية عسكرية الى امبراطورية تجارية عالمية . وقد بدأ هذا التغيير خلال القرن الثاني وقطع شوطا بعيدا في القرن الثالث . فكان طبيعيا ان ينجم عن هذا التبدل العظيم في الاحوال الاجتماعية ونظام الطبقات استئناف تنظيم الحركات وتوسيعها ، تلك الحركات التي تعبر عن تمرد الطبقات والشعوب الراضحة تحت الظلم . وقد ولدت الظروف العصيبة في القرنين الثالث والرابع سلسلة من الثورات والفتن . ويمكن تسمية القرن الثاني بدور حضارة الثورات .

أ - صلة الخطابية والاسماعيلية

تعدّ غالبية مصادرنا ابا الخطاب اول من نظم حركة ذات طابع باطني خاص . ويعرف بمحمد بن ابي زينب وبمقلاص ابن ابي الخطاب ، من موالي بني اسد (١) وكان من المقربين للامامين محمد الباقر وجعفر الصادق ، وظل احد اتباعهما المخلصين حتى

(١) الكشي ١٨٧ - هرود ليندر : ابن حزم ٦٩/ .

تبراً منه جعفر (١) . ويظهر ان التبرؤ قد اشاع الدهشة والفزع بين الشيعة . وامتلأت صفحات عدة من كتب الاثني عشرية في تفسيره وشرحه (٢) .

وأغنى البحوث عن أعمال أبي الخطاب وأكثرها وثوقاً ما كتبه النوبختي (٣) : بدأ أبو الخطاب - بناء على ما أورده النوبختي - داعية لمحمد الباقر وجعفر الصادق ، وغلا غلوا عظيماً ، فزعم ان جعفر جعله قيّمه ووصيه من بعده ، ثم ترقى الى ان ادعى النبوة . . . الخ وأحل المحارم وأباح الشهوات وقال بالتقية (٤) - وهي تجوز الكذب والشهادة الباطلة في صالح الدين - كما قال هو واتباعه بأن الجنة والنار المذكورتين في القرآن ان هما الا رجلان وليس لهما معنى خارج وجودنا الارضي . وادخلوا نظرية «النور» الشرقية القديمة في التناسخ (٥) وقد فصلها النوبختي ووضحها وانها لتقرب مما ورد في كتابات الاسماعيلية المتأخرة كثيراً . واجتمع بعضهم في الكوفة بزعامة أبي الخطاب فلما بلغ أمرهم عيسى بن موسى والي المدينة حاربهم وقتل منهم سبعين رجلاً في المسجد ، وقبض على أبي الخطاب وقتله وصلبه سنة ١٢٨هـ - ٧٥٥م (٦) . وكان جعفر قبل ذلك قد كذب أبا الخطاب على رؤوس الاشهاد وتبرأ من جميع أعماله علانية .

ولما مات أبو الخطاب تحول أتباعه الى محمد بن اسماعيل

(١) الكشي ١٩١ - ١٩٢ .

(٢) الكشي ، منهاج المقال . . الخ ، في موضوع أبي الخطاب .

(٣) ٢٧ ، ٥٧ - ٦٠ .

(٤) غولديزهر : Z. D. M. G. IX, 1906, P. 222

(٥) وفي الشهرستاني ايضاً ١٢٦ ، الترجمة ٢٠٦ .

(٦) هذا هو التاريخ الذي يذكره الكشي ص ١٩١ ، وروايته أوثق من رواية

النويري التي تجعل تاريخ قتله سنة ١٤٥هـ - ٧٦٢م

Sacy , 1 , Intro, 440.

حفيد جعفر واعلنوا ولاءهم له . وكانت فرقة الاسماعية هي
الخطابية نفسها (١) .

ان ما قدمناه آنفا هو الخطوط الاساسية لما ذكره النوبختي
عن الخطابية . اما عقيدتها فقد اشبعتها بحثا وأيد اخبارها غالبية
السنة الذين كتبوا عن الفرق المارقة . وأورد لنا البغدادي (٢)
والشهرستاني (٣) تفاصيل أكثر من النوبختي عن الفرق الفرعية
للحركة الخطابية بعد موت أبي الخطاب . تلك هي :

(١) المعمرية

(٢) البزيفية

(٣) العميرية

(٤) الفضلية

وتختلف بينها في مسائل بسيطة في العقيدة وفي الرؤساء
الذين تولوا قيادتها .

ومع ان غالبية من كتب من السنة في عقائد الفرق المارقة
لا يشيرون الى اي اتصال مباشر بين الخطابية والاسماعيلية ، فان
ما ذكره من عقائد الخطابية يؤيد ما ذهب اليه النوبختي في
وحدة هاتين الحركتين . فمن ذلك ان البغدادي (٤) والاشعري (٥)
- ويؤيدهما المقرئ (٦) - ينسبان للخطابية عقيدة الامام الصامت
والناطق (٧) وهي عقيدة اختصت بها الاسماعيلية . ثم ان ابن

(١) الكشي ٥٨ .

(٢) ٢٣٦ ، الترجمة ٦٢ .

(٣) ١٣٦ ، الترجمة ٢٠٦ .

(٤) ٢٣٦ ، الترجمة ٦٢ .

(٥) ١٠/١ .

(٦) الخطط ٢/٣٥٢ .

(٧) Desacy , 1 , Intro ., 103 ff . وكذلك كلام بير .

حزم (١) والشهرستاني (٢) والمقرئزي (٣) وآخرين غيرهم ينسبون
للخطابية طريقة القائل الاسماعيلي كما يفعل النوبختي ، ويقال
مثل ذلك في نظرية « النور » .

وفي كتب الشيعة الاثني عشرية معلومات اخرى عن عقائد
الخطابية . فالكشي (٤) يسرد بعض الروايات التي تقص علينا
مزاعم أبي الخطاب والاسباب التي دعت جعفرا لكي يتبرا منه .
وفيما يلي بعض الامثلة :

- كتب جعفر الى أبي الخطاب يقول : « بلغني انك تزعم ان
الزنى رجل وان الخمر رجل وان الصلاة رجل والصيام رجل
والفواحش رجل » (٥) .

- قال عنبسة بن مصعب (٦) : قال لي (جعفر) . . . اي
شيء سمعته من أبي الخطاب ؟ قلت : « سمعته يقول : انك وضعت
يدك على صدره وقلت له عه ولا تنس ، وانك تعلم الغيب وانك قلت
له هو عيبة علينا وموضع سرنا ، أمين على احيائنا وامواتنا . فأنكر
ذلك جعفر انكارا شديدا (٧) » .

- وهناك روايات أخرى تقص علينا كيف زعم أبو الخطاب
ان جعفرا ذو طبيعة الهية ، وان له معجزات وقوى خارقة : وكيف

(١) فريد ليندر . ابن حزم ١١٢/٢ .

(٢) ١٣٦ ، الترجمة ٢٠٦ .

(٣) الخطط ٢٥٢/٢ .

(٤) الخطط : ١٨٧ - ١٩٩ .

(٥) ١٨٨ .

(٦) يذكره المجلسي بأنه أحد أتباع الفرقة النوايسة (بحار الانوار ١٧٥/٩)

انظر ايضا الكشي ٢٢٣ .

(٧) الكشي ١٨٨ . انظر ايضا ماسينيون : سلمان ص ٤٤ حيث تجد مثل

هذا القول منقولا عن نسخة نصيرية .

قال بالتناسخ وعصي أوامر جعفر الصريحة . وهناك غير هذه الشواهد المستمدة من التشابه بين العقائد الدينية مما يدل على العلاقة بين الخطابية والاسماعيلية، شواهد وبينات تاريخية نلمسها في بعض المصادر . فيقول ابن رزّام (١) بأن الميمونة أو اتباع ميمون القداح كانوا تلاميذ أبي الخطاب وحوارييه . ويذكر ابن الاثير (٢) بأن أبا الخطاب كان « أول من فعل ذلك » وبأن ميمون القداح كان تابعا له . ويقول النويري ، رواية عن ابن شداد (٣)، بأن ميمونا من اصحاب ابي الخطاب . وكانوا يقولون بالتأويل والباطن . وبأن الحركة التي بثها ميمون وابنه كانت في جوهرها حركة أبي الخطاب نفسه . ويجعل رشيد الدين (٤) أبا الخطاب مؤسساً ، وميمونا وابنه عبد الله تابعين له . وأخيراً يمكننا ان نضيف الى ما مر اشارة وردت في كتاب زيدي هو كتاب حقائق المعرفة للامام المتوكل زيدي رسيّ أمام اليمن (٥٣٢ - ٥٦٦ هـ ١١٣٧م - ١١٧٠م) حيث يقول : « . . . الاسماعيلية وهم المباركة والخطابية (٥) » .

ويحسن بنا في هذا المقام ان نتساءل عما يمكن ان نجده من الاشارات في كتابات الاسماعيلية الى ابن الخطاب والخطابية ولكننا في تساؤلنا هذا غير موفقين اذ جميع الوثائق الاسماعيلية المتيسرة لدينا تقريبا ترجع الى عصر نجاح الدعوة وتأسيس دولتها عندما كان المدافعون عن هذه الفرقة معنيين بانكار العلاقة

(١) الفهرست ١٨٦ .

(٢) ٢١/٨ .

(٣) De Sacy , 1 , Intro . 1437 ff - كاترمير : المقيزي ١٢١

فاكتان ٤٧ .

(٤) Levi 513 and 519 وفي جويني ١٥٢/٢ عبارة مشابهة لذلك .

(٥) مخطوط في المكتبة التيمورية .

بينهم وبين رجال ساءت سمعتهم كآبي الخطاب . نعم اننا نحس فيها ، ومن حيث العموم ، تأييدا ضمنيا للعقائد المنسوبة الى آبي الخطاب ، ولكننا لا نعثر على اشارات صريحة بيّنة ، الا قليلا ، مبعثرة هنا وهناك . فالداعي الفاطمي ابو حاتم الرازي يذكر آبي الخطاب في كتابه (كتاب الزينة - اوائل القرن الرابع الهجري ، القرن التاسع الميلادي) ويجعل اعماله واستشهاداه (١) . ويذكر ابو حنيفة نعمان المتوفى سنة ٢٩٣ هـ = ٩٧٤ م قاضي المعز في كتابه دعائم الاسلام ، (٢) وفرقته ويعدها من الفرق المارقة . ولكن كتابه ظاهري موضوع لعموم الناس ، لذلك لا يعول عليه كثيرا في هذه البحوث .

وفضلا عن ذلك ، فان لدينا مجموعتين من التصانيف حفظت لنا اسم آبي الخطاب وعقائده وفيها اشارات وافية الى الدور الحاسم الذي اضطلع به : اولهما « أم الكتاب » الشهيرة وهي عبارة عن كتاب سري مقدس عند الاسماعيليين في اسيا الوسطى يمثل ، كما يشير العلامة الذي اشرف على طبعه ، مرحلة قديمة جدا لتطور افكار الشيعة الثورية . وهذا الكتاب يجعل لآبي الخطاب مقاما خطيرا في هذه الحركة فيعتبره مؤسس المذهب ويقرنه بسلطان في عظيم اهميته . وعبارته في ذلك واضحة صريحة اذ يقول : « ان المذهب الاسماعيلي هو ما اوجدته ذرية

(١) ايفانوف 32 Guide, 430 Kitab , Notes sur L'ummu'l

لم استطع الرجوع الى أي مخطوطة لهذا الكتاب .

(٢) MS. S. O. S. Library, 25735, P. 31 b ff ويذكر القاضي نعمان عقائد آبي الخطاب باختصار ادعاءه النبوة ، تأليهه لجعفر ، (الاباحة) وتبرؤ جعفر منه . ويجري بحثه عن الغيرة وعن غيره من المارقين مجرى المصادر السنية .

ابي الخطاب (اتباعه ؟) الذين شروا أنفسهم بحب احفاد جعفر
الصديق (و) اسماعيل . (١)

وثانيتهما كتابات النصيرية التي درسها ماسينيون . وفيها
فقرات وعقائد شبيهة بتلك . وهي ايضا تعتبر ابا الخطاب مؤسس
الفرقة وميمونا القداح تابعا له . وتعزو اليه اكثر العقائد التي
يختص بها المذهب الاسماعيلي . (٢) .

يبدو ان تكذيب جعفر لابي الخطاب وما لقيه ابو الخطاب من
مصرع اليم احدثا كثيرا من الفزع والهيّاج . ويروي الكشي
ومصنفون آخرون من الشيعة الاثني عشرية اخبارا كثيرة تشرح
هذا التكذيب وتبرره . ونذكر فيما يلي امثلة تستحق الانتباه بوجه
خاص :

١ - قال عبد الله الرجاني : ذكرت ابا الخطاب ومقتله عند
جعفر الصادق فرقت عند ذلك فبكيت فقال : اتأسى عليهم ؟ . .
فقلت : لا . وقد سمعته يذكر ان عليا عليه السلام قتل اصحاب
النهر (٣) فاصبح اصحاب علي عليه السلام يبكون عليهم
فقال علي عليه السلام : اتأسون عليهم ؟ قالوا : لا انا ذكرنا الالفة
التي كنا عليها والبلية التي اوقعتهم فلذلك رققنا عليهم ، قال لا
باس (٤) .

٢ - قال عيسى بن شلقان (٥) : قلت لابي الحسن وهو يومئذ

(١) النص ٩٧ ، الملاحظات ٤٢٨ .

(٢) ماسينيون : سلمان ، ومقاله عن النصيريين في دائرة المعارف
الاسلامية .

(٣) ربما اهل النهروان ، اي الخوارج .

(٤) الكشي ١٨٩ .

(٥) كان عيسى بن ابي منصور شلقان من اتباع جعفر ، وكان يعتمد عليه

كثيرا (الكشي ٢١١) .

غلام قبل اوان بلوغه : جعلت فداك ما هذا الذي يسمع من ابيك (جعفر) ؟ انه امرنا بولاية ابي الخطاب ثم امرنا بالبراءة منه . فقال ابو الحسن من تلقاء نفسه : (ان الله خلق الانبياء على النبوة فلا يكونون الا انبياء . وخلق المؤمنين على الايمان فلا يكونون الا مؤمنين واستودع قوما ايمانا فان شاء اتمه وان شاء سلبهم اياه ، وان ابا الخطاب كان ممن اعاره الله الايمان فلما كذب على ابي سلبه الله الايمان . فعرضت هذا الكلام على جعفر فقال : لو سألنا عن ذلك ما كان ليكون عندنا غير ما قال (١) ، اي استحسنة ورضى به حكما .

- وقال قاسم الصيرفي : « سمعت جعفرا يقول : قوم يزعمون اني لهم امام . والله ما انا لهم بامام . ما لهم لعنهم الله كلما سقرت سترا هتكوه هتك الله ستورهم . اقول كذا يقولون انما يعني كذا . انا امام من اطاعني (٢) » .

وتتفق جميع مصادر الشيعة الاثني عشرية وغالبية المصادر السنية في رواية تبرؤ جعفر من ابي الخطاب (٢) . ويظهر منها ان خلافا خطيرة وقعت بين الرجلين من حيث العقيدة . ان خلع جعفر لاسماعيل بعدئذ ، والاتصال الوثيق بين احفاد اسماعيل واتباع ابي الخطاب ، ثم الانشقاق الجوهرى في العقيدة بين اتباع اسماعيل واتباع موسى الكاظم امام الشيعة الاثني عشرية السابع - ان كل ذلك يشير الى نتيجة واحدة ويسوغ ان نضع اسماعيل

(١) ١٩١ . لقد لعب التفريق بين المستودع والمستقر دورا هاما في عقائد الاسماعيلية المتأخرة ، (انظر كلام بير ٧٨) .

(٢) الكشي ١٩٤ . لهذا الانفجار في الغضب والاراء نصيب من الصحة .

(٣) ممن لا يتفق معهم ابن حزم ، انظر فريد لينتر ٦٩/١ .

نفسه بين الثائرين على سلطة جعفر وزعامته (١) .

٢ - استقرار الامامة في ذرية اسماعيل :

وهذا يؤدي بنا الى مسألة اخرى عسيرة وهي : ماذا كان نصيب اسماعيل نفسه من كل هذه الاعمال ؟ ان معلوماتنا عن اسماعيل لسوء الحظ ، نزرعة محدودة جداً ، فهو في المصادر الاسماعيلية الامام ذو المنزلة التي توشك ان تجعله الها ومن ارباب الاطلاق (ازوار باب اطلاق (٢)) وبرمعه الى هذه المكانة السامية اصبح كل خبر عنه ذا قيمة تاريخية ضئيلة . وهناك ، زيادة على ما سبق ، تناقض كبير بين المصادر الاسماعيلية نفسها قد يكون سببه تفاوتها في مراتب السر والكتمان . فنحن نقرا في كتاب (كلام بير (٣)) : « خلف موسى الكاظم جعفر كما خلف الامام الحسين الامام عليا ولم يكن لموسى حق نقل النص . ثم خلفه اسماعيل وكان رياء مطلقا ومفد عرف اسماعيل بأن الامامة ستستقر في ذريته وافق على نص موسى الكاظم فلم يحدث بينهما خلاف ، ولا يخفى ان هذه الرواية تناقض الكتابات الاخرى العديدة في :

(١) ان اسماعيل مات في حياة ابيه جعفر .

(٢) ان موسى الكاظم لم يكن اماما عند الاسماعيليين (٤)

(١) من الباحثين المحدثين الذين يعدون ابا الخطاب من المؤسسين الاولين للاسماعيلية ماسينيون (مقالة عن القرامطة والنصيريين في دائرة المعارف الاسلامية وفريد ليندر (ابن حزم ١٠٦/٢) .

(٢) كلام بير ٧٥ .

(٣) ٧٥ .

(٤) الفلك الدوار ١٢٥ - تقسيم العلوم (مخطوطة نرسية) ورقة ١١٧ ف

. Fyzec , List , P. 8.

وتعتبر المصادر السنية والاثنا عشرية اسماعيل شريرا لا يستأهل شرف الانتساب الى ابيه ، ويظهر ان مصادر الاثني عشرية خاصة قد اوجزت الكلام في اخباره واتبعت المثل القائل « خير الكلام ما قل ودل » . والامران التاليان هما كل ما يمكن جمعه من هذه المصادر على وجه التقريب :

(١) ان اسماعيل مات في حياة ابيه .

(٢) ان جعفرا نزع عن اسماعيل حق الامامة بسبب اخلاقه

الذميمة .

وتقتصر غالبية المصادر على ذكر هذين الامرين من غير تعليق او تعقيب . ويضيف جويني (١) ان وفاة اسماعيل كانت سنة ١٤٥ هـ . ويقول كتاب شيعي (٢) انها وقعت سنة ١٢٨ هـ . ويقول رشيد الدين (٣) وجويني (٤) بأن جعفرا امر بعرض جثة اسماعيل للملا ، وشهدا قوم كثيرون وتحققوا من وفاته . وقد يكون ذلك منه احباطا لنسج الاساطير والخرافات حوله . ولكن هذه التدابير اخفقت . وينسب رشيد الدين (٥) وجويني (٦) للاسماعيليين القول بأن اسماعيل لم يموت وانه عاش بعد ابيه سنين وانه اتى بمعجزات كثيرة . ويؤكد هذا الزعم كتاب دستور المنجمين (٧) الفاطمي النزعة فيعتبر اسماعيل اول امام مستور . وكان بدء ستره في سنة ١٤٥ هـ . ولم يموت الا بعد سبع سنين .

(١) ١٤٦ .

(٢) عمدة الطالب ٢٢٢ . مقتبسة في كتاب ايفانوف : Ismailitica

(٣) Levi, 521

(٤) ١٤٦ .

(٥) ٥٢١ .

(٦) ١٤٦ .

(٧) بلوشيه ٥٧ - ٥٨ - دو خويه ٢٠٣ .

والرأي السائد في سبب براءة جعفر من اسماعيل وعزله اياه
ادمانه السكر (١) . على ان في المصادر التي بين ايدينا عبارتين
تدلان فيما يظهر على ان لهذا التبدل عللا واسبابا اهم من ذلك .

اولاهما وردت في الكشي (٢) وماسينيون (٣) اول من
اظهر اهميتها . ونصها :

قال عنيسة : « كنت مع جعفر بن محمد بباب الخليفة ابي
جعفر المنصور بالحيرة حين اُتي ببسام (٤) واسماعيل بن جعفر
بن محمد ، فأدخلنا على ابي جعفر ، فأخرج بسام مقتولا ، وأخرج
اسماعيل بن جعفر بن محمد ، فرفع جعفر رأسه اليه وقال :
افعلتها يا فاسق ؟ ابشر بالنار .. » .

ويبدو من هذا ان بساما واسماعيل قد اجتمعا على عمل من
اعمال التمرد استاء منه جعفر واستقبحه . وهذا يشرح ما ورد في
العبارة الثانية التي ينسبها جويني الى جعفر ، وهي كلام في غير
محله حقا اذا كان ذنب اسماعيل هو ادمانه السكر فقط . قال جعفر
« اسماعيل ليس مني ولكنه شيطان في صورة انسان (٥) » .

وقد ذهب ماسينيون في هذا الصدد ، الى ان الكنية (ابو
اسماعيل) التي يضيفها الكشي (٦) على ابن الخطاب انما تشير
الى اسماعيل بن جعفر وان ابا الخطاب كان المتبني لاسماعيل
والاب الروحاني له (٧) .

(١) Levi , 519 جويني ١٤٥ - الطبري ٧٥٤/٣ و ٢٥٠٩ .

(٢) ١٥٩ وكذلك في منهاج المقال ٥٦ .

(٣) تخطيط الكوفة ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٤) صراف الكوفة ، ميوله شيعية . ميزان الاعتدال ١٤٤/١ .

(٥) جويني ١٤٥ .

(٦) ١٨٧ و ٢٠٨ .

(٧) ماسيتيون : سلمان ١٩ .

ويذكر الكشي (١) في كلامه على المفضل بن عمر الجعفي اخبارا تنبئ على ما يظهر بصلة وثيقة بين اسماعيل والخطابين ، وتبين حنق جعفر على اولئك الذين اضلوا ولده وزجوه في المروق والاختطاف . قال جعفر للمفضل بن عمر : « يا كافر يا مشرك مالك ولابني (٢) ؟ » . ثم قال : « ما تريد الى ابني ؟ تريد ان تقتله ؟ (٣) » .

من هذا كله نستطيع ان نستنتج مؤيدات قوية للفرضية القائلة بأن اسماعيل كان ذا صلة وثيقة بالاطراف المتطرفة والثورية التي اوجدت الفرقة المسماة باسمه . وبأن عزل جعفر له كان لهذه الصلة ويعزز هذا - كما سنرى - العلاقة القوية بين محمد بن اسماعيل وريثه وميمون القداح وابنه عبد الله - تابعي ابي الخطاب المغالين وحواريه .

ويمكننا الان ان نعود فنستعرض مجرى الحوادث عند وفاة جعفر . لان الانشقاق بين فرعي الحركة الشيعية قد حدث حينذاك : وتقف غالبية مصادرها عند القول بأن جماعة تبعت موسى الكاظم ، وصدقت اخرى ادعاءات اسماعيل وابنه محمد . وسنغفل - تيسيرا

(١) ٢٠٦ - ٢١١ . كان المفضل صرافا في الكوفة ، وكان من أتباع جعفر البارزين ، ناصر ابا الخطاب ثم وجد فرقة صغيرة باسمه بعد قتل ابي الخطاب . وكان ، رغم طرد جعفر اياه ، يدعو الى امامة ابنه اسماعيل من بعده . ثم عاد الى الشيعة الاثني عشرية وصالح جعفرا وخدمه وخدم موسى الكاظم . انظر كذلك (البغدادي ٢٣٦ ، الترجمة ٦٥ . والشهرستاني ١٢٧ ، الترجمة ٢٠٧ . والاشعري ١٢/١ والطوسي : الفهرست ٢٢٧ . ومنهاج المقال ٢٤١ وايانوف : Guide , P. 30 وهو يذكر خطأ قتل المفضل مع ابي الخطاب) .

(٢) الكشي ٢٠٦ .

(٣) الكشي ٢٠٧ .

للبحث - الفرق الصغرى التي اتبعت ابناء آخرين لجعفر الصادق
لقلة اهميتها وقصر عمرها .

على ان بعض المصادر تزودنا بمعلومات افضل واوسع ،
فعلينا ان نلقي عليها نظرة فاحصة .

يقسم النوبختي (١) اولئك الذين قالوا بامامة اسماعيل
بعد وفاة ابيه الى فرقتين :

١ - فرقة انكرت موت اسماعيل في حياة ابيه وقالوا كان
ذلك من جهة التليبس من ابيه على الناس لانه خاف فغيبه عنهم .
وزعموا ان اسماعيل هو القائم وانه لم يمست ولكنه في الغيبة
وسيرجع . وهذه الفرقة هي الاسماعيلية الخالصة .

٢ - فرقة زعمت ان الامام بعد جعفر بن محمد هو محمد بن
اسماعيل . وقالوا ان الامر كان لاسماعيل في حياة ابيه فلما توفي
قبل ابيه جعل جعفر بن محمد الامر لمحمد بن اسماعيل وكان الحق
له ولا يجوز غير ذلك لان الامامه لا تنتقل من اخ الى اخ بعد الحسن
والحسين ولا تكون الا في الاعقاب . واصحاب هذا القول
يسمون « المباركة » برئيس لهم كان يسمى « المبارك » مولى
اسماعيل ابن جعفر . وقد دخل فيهم اتباع ابي الخطاب ، ثم
افترقوا فرقا عدة منها فرقة القرامطة . وقد سميت برئيس لها من
اهل السواد من الانباط كان يلقب « قرمطوية » . قالوا ان روح
جعفر حلت في ابن الخطاب ثم انتقلت الى محمد بن اسماعيل ثم
ساقوا الامامة في ولد محمد بن اسماعيل . وقد انشاوا نظاما خاصا
بهم زعموا فيه ان محمد بن اسماعيل حي لم يمست ولا يموت وهو
القائم والمهدي وخاتم النبيين . ويذكر النوبختي بعض التفاصيل

(١) ٥٧ وما بعدها .

عن مذهبيهم ويقول ان عددهم بلغ في ايامه مئة الف نفر ، وهم
بسواد الكوفة واليمن اقوى شوكة واصلب عودا .

ويذكر المجلسي (١) نقلا عن رواية قديمة ثلاث فرق وهي :

١ - فرقة قالت ان اسماعيل هو القائم المنتظر وان وفاته
كانت خدعة .

٢ - وفرقة قالت بوفاته في حياة ابيه بعد ان فوض الامر
لابنه محمد فخلفه بالامامة . ومؤلاء هم « القرامطة وهم المباركة ،
وسمى القرامطة برئيس لهم من اهل السواد يدعى « قرمطويه » .
اما المباركية فبرجل يدعى المبارك مولى اسماعيل . (والقرامطة
اخلاف المباركية . والمباركية سلفهم) .

٣ - وفرقة قالت ان جعفر ا نفسه قد عقد الامامة لمحمد ونص
بها له ، وهذه الفرق الثلاث هي الاسماعيلية .

ويقول المتوكل الامام الزيدي كما رأينا بأن الاسماعيلية
تتكون من الخطابية والمباركية .

ويمكننا ان نوفق بين هذه الروايات الثلاث بلا كبير عناء
ونؤلف منها رواية واحدة منسجمة الاجزاء . فمن الواضح الجلي
انهم ينسبون الى المبارك دورا خطيرا في هذه الحركة ، فاليه يعزى
تنظيم الفرقة التي التفت حول محمد بن اسماعيل وضمت اليها
القسم الاكبر (٢) من الخطابية والفرق الاسماعيلية المخالفة فأوجدت

(١) بحار الانوار ٩/ ١٧٥ .

(٢) من الواضح انها لم تضم اليها جميع الخطابية فقد بقي قسم منها يؤلف
فرقة متميزة ، ظل يرد اسم جماعات من الخطابية حتى عهد متأخر جدا
(مثلا مطهر بن طاهر . انظر ص ١٢٧) ومن بعضها نشأت الفرقة
النصيرية .

منها الدعوة الاسماعيلية الموحدة التي نشأت عنها التطورات العظيمة ذات القيمة التاريخية الهامة . ولسوء الحظ ان ما نعرفه عن المبارك هذا نزر قليل . ونستطيع ان نضيف شيئا قليلا من المصادر السننية الى الرواية السابقة التي ألفناها من المصادر الشيعية الاثني عشرية والزيدية فحسب .

كان المبارك على ما ورد « في سياسة نامه » (١) حجازيا وكان خادما لمحمد بن اسماعيل ، وكان يجيد نوعا من الخط يسمى (مرقط) ولذلك عرف باسم (قرمطويه) . وقد أغواه عبد الله بن ميمون القداح فأنشأ فرقة ونشراها وهي الفرقة التي عرفت بالمباركية أو القرمطية نسبة الى اسميه .

واني لاعتقد بوجوب رفض هذا الزعم الذي يرى المبارك وقرمطوية شخصا واحدا للبينات والدلائل القديمة الموثوق بها التي تنافيه .

يذكر الاشعري (٢) والبغدادي (٣) والشهرستاني (٤) والمقرئزي (٥) جميعهم المبارك ويؤيدون مصادرنا الشيعية غالبا . واذا تذكرنا ما للمبارك من منزلة وخطورة فان ما في المصادر الاسماعيلية من اخباره قليل يدعو الى العجب . والذكر الوحيد الذي استطعت أن أجده هو ما أورده « دستور المنجمين » حيث يقول عنه بأنه مولى محمد بن اسماعيل فوضه اسماعيل بالامامة (٦) ومن المحتمل انه كان معروفا في الاوساط الاسماعيلية بأسم آخر .

(١) ١٨٣ ، الترجمة ٢٦٩ .

(٢) ٢٧ .

(٣) ٤٧ .

(٤) ١٦ ، ١٢٨ ، الترجمة ٢٤ ، ١٩٣ .

(٥) الخطط ٢٥١/٢ .

(٦) بلوشيه ٥٨ - دو خويه ٢٠٣ .

٣ - (استنباط اصول الاسماعيلية)

ونستطيع الآن ان نستنبط مجمل اصول الاسماعيلية على ضوء ما درسناه من وثائق .

انشأ ابو الخطاب واسماعيل - متعاونين على ما يحتمل - نظام عقيدة صارت اساسا للمذهب الاسماعيلي فيما بعد . وسعيا كذلك الى خلق فرقة شيعية ثورية لتجمع كل الفرق الشيعية الصغرى على امامة اسماعيل وزريته . ثم افترقت بعد وفاة ابي الخطاب واسماعيل وجعفر فرقا كثيرة ذات افكار متضاربة ورؤساء

متخصصين . ثم التفت هذه الفرق حول محمد بن اسماعيل واستطاع هذا ان يؤلف منها - بفضل مؤازرين مخلصين ، لا سيما المبارك وعبد الله بن ميمون القداح - حركة واحدة جلها من اتباع اسماعيل وفيهم القسم الاكبر من الخطابية الذين اقتبست عقائدهم بشيء من التحوير (١) . ونشأت حول محمد بن اسماعيل الحركة الاسماعيلية المعروفة في التاريخ (٢) .

د - الائمة : المستقرون والمستودعون

قبل ان نتقدم للبحث في انساب الائمة المستورين وشرعية ادعاءات الفاطميين في انسابهم ، نرى لزاما علينا ان نستطرد لدرس اعتقادين تختص بهما الباطنية ، لهما علاقة مباشرة في ما نحن بصدده .

١ . الابوة الروحانية والنبوة الامامية

١ - الاعتقاد في الابوة الروحانية ، او النكاح الروحاني ، كما يصطلح عليها وعليه في اللغة العربية احيانا . ان الحركة الباطنية ، بما لها من ميول غنوصية Gnostique قوية وبتعويلها الشديد على النواحي الباطنية للاشياء دون المادية الظاهرية منها ، بلغت بسهولة ، وبشكل طبيعي جدا اعتبرت فيه العلاقة بين الاب وابنه - وهي التي تتصل بالبدن التافه الزائل وحده - اقل اهمية وحقيقة من العلاقة الروحانية بين المعلم والتلميذ ، المنبعثة من النفس الخالدة . وينتج عن هذه العقيدة ان التلميذ

- (١) المسائل المتعلقة بتطور العقيدة وتبديلها ليس من موضوع كتابنا . وتجدر بحثها في مقال ماسينيون عن القرامطة في دائرة المعارف الاسلامية .
- (٢) سنبحث عن ميمون ، وعبد الله بن ميمون ، ومحمد بن اسماعيل ، والفرقة القرمطية في الفصول التالية .

أخرى بأن يكون الابن والوارث الحقيقي ، من النسل الطبيعي
للإنسان . حتى لقد ارتأى بعضهم أن كلمتي (أب) و (ابن) في
الاعلام الاسماعيلية إنما استعملتا بهذا المعنى أحيانا (١) .

وأكثر الكتب أيضا وتعبيرا لهذه العقيدة هي رسائل اخوان
الصفا ، وهي كتاب لم يبق شك في روحه الباطنية .

وفي هذه الرسائل نقراً (٢) : « اعلم أن المعلم والاستاذ أب
لنفسك وسبب لنشوتها وعلّة حياتها . كما أن والدك أب لجسدك
وكان سبباً لوجوده : وذلك أن والدك أعطاك صورة جسدانية
ومعلمك أعطاك صورة روحانية ، وذلك أن المعلم يغذي نفسك
بالعلوم ويربيها بالمعارف ويهديها طريق اللذة والسرور والراحة
السرمدية كما أن أباك كان سبباً لكون جسدك في دار الدنيا ومربيك
ومرشدك إلى طلب المعاش . »

« ولا (٣) ينبغي (للمعلم) أن يمن عليه (على التلميذ) بما
ينفق عليه من المال ولا يستحقه ويعلم أن الذي حرم أخاه هو
الذي أعطاه . وكما أنه لا يمن على ابن له جسداني فيما يربيه
وينفقه عليه من ماله ويورثه ما جمعه من المال بعد وفاته ، كذلك لا
يجب أن يمن على ابنه النفساني لأنه كان ذلك أبفه الجسداني فهذا
أبفه النفساني . كما روى أن النبي (ص) قال لعلي (ع) : أنا وأنت
أبوا هذه الأمة (٤) وقال (ص) : المؤمن أخو المؤمن من أبيه
وأمه (٥) وقال إبراهيم (ع) : فمن تبعني فإنه مني (٦) أي من

(١) ماسينيون سلمان ١٦ - ١٩ ، والمقتني ٦ .

(٢) طبعة القاهرة ١١٣/٤ .

(٣) ١١٥/٤ - ١١٦ .

(٤) لم استطع أن أحقق هذا الحديث .

(٥) (أبو داود) السنن ، باب الأب ٤٩ .

(٦) القرآن : سورة ١٤ ، آية ٣٩ .

فبريتي ، وقال عز وجل لنوح (ع) حيث قال (ان ابني من اهلي) :
انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح (٢) ، وقال تعالى : فاذا
نفخ في الصور فلا اَنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (٢) . ويبين
ان النسب الجسداني لا ينفع في الآخرة .

ولهذا المعنى قال المسيح للحواريين . جئت من عند أبي
وأبيكم (١) . وقال الله تعالى : « ملة ابيكم ابراهيم (٢) فهذه
الابوة نفسانية لا ينقطع نسبها كما قال النبي (ص) : (كل نسب
ينقطع الا نسبي) وقال : (يا بني هاشم لا يأتيني الناس يوم القيامة
بأعمالهم وتأتونني بأنسابكم ! فاني لا أغني عنكم من الله شيئا (٣) .
انما أراد النسبة الجسدانية لانها تنقطع اذا اضمحلت الاجسام
وبقيت النسبة النفسانية .

وتوجد مثل هذه الافكار في كتب اسماعيلية مختلفة ، فنصير
الدين الطوسي (٤) يقول : نرية الامام على اربعة انواع ، روحانية
او « در معنى » مثل سلمان الفارسي (٥) وجسمانية او بالشكل

(١) القرآن : سورة ١١ ، آية ٤٧ - ٤٩ .

(٢) القرآن : سورة ٢٢ ، آية ١٠٣ .

(٣) نصه ايضا في : ويسنده آسن بالافئوس الى

يوحنا في خطبة العشاء الرباني الاخير ، انظر :

Logia and Agrapha , 127

(٤) القرآن : سورة ٢٢ آية ٧٧ .

(٥) وفي الطبري ٢٧٥١/١ ، قول شبيه به ينسبه الى عمر .

(٦) ايفانوف : An Ismailitic Work, 555 Ismailitica, 15

عبارة مثل هذه .

(٧) ان تبني الرسول لسلمان - « سلمان من اهل البيت » - هو اساس

العقيدة ومفتاحها . واذا شئت بحثا مشيعا فانظر ماسينيون : سلمان

٦٦ - ١٩ وماسينيون في كتابة هذا وفي مقاله عن القرامطة في دائرة

المعارف الاسلامية اول من نبه الى هذه العقيدة .

مثل المستعلي ، وروحانية وجسمانية معا مثل الحسن امام الشيعة الثاني وجسمانية وروحانية « ودر حقيقة ، مثل الامام الحسين .
والواضح أن النوع الاول يسوغ تبني شخص ليس من سلالة علي
دما ، فيكون علويا فخريا أو وارثا حقيقيا .

٢ - اصول السلالة الفاطمية

ومن العجيب ان الكتاب السنة وغالبية الباحثين الاوربيين قد فاتهم أن يلاحظوا هذه العقيدة وصلتها بمسألة اصول الفاطميين ولم يفتنوا لقدرها وأهميتها من غير الاسماعيليين الذين كتبوا عن الاسماعيلية سوى اثنين أحدهما اثنا عشري والآخر سني . قال صاحب تبصرة العوام (١) :

« انهم (الاسماعيليين) يقولون ان المسيح كان ابن يوسف النجار وان قول القرآن بأن للمسيح اب انما أراد ليس له اب تعليمي » اي معلم (٢) .

وقال رشيد الدين المؤرخ الفارسي (٣) الكبير : « ارسل جعفر الصادق حفيده محمد بن اسماعيل في صحبة ابي شاذان ميمون الديصاني المعروف بميمون القداح ، الى طبرستان : وبعد وفاة جعفر الصادق اودع ميمون القداح ولده عبد الله الى محمد بن اسماعيل قائلا : ان الابوة الجسمانية تكون من ولادة الطفل المادية ليس غير ، بينما تكون الابوة الروحانية من ملازمة شخص لآخر معين ، فتقول ان فلانا ابن فلان لانه تخرج عليه ، افلا يكون

(١) طبعة طهران ١٨١ وقراءة شفر Chrest pers 1, 180 أقل
اقتناعا .

(٢) من ذلك قوله « ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه ، »

(٣) اوشيه ٨٩ - 88 Polemics,

الذي يتلقى العلم والمعرفة اللتين هما جوهر الحياة الروحانية من رجل آخر هو ابنه الحقيقي ؟ فانا مثلاً انجبنى بن محمد بن اسماعيل روحانيا ثم أصبحت بما كشف لي من اسرار العلم اهلاً لان انتسب اليه وان اعتبر نفسي ابنه ، والخلاصة فانه انهى كلامه بقوله : عبد الله هو ابن محمد بن اسماعيل ووارثه الذي لا يتقدم عليه احد . وقد اودعه اياي لانشئه واعصمه من مكائد اعدائه ، ولما بلغ عبد الله السابعة عشرة من العمر نادى ميمون القداح بامامته ولم يعترض الشيعة على ذلك ، .

وتوضح هذه العبارة استخدام الاسماعيليين لهذه العقيدة في اغراضهم العملية وتكشف عن اهميتها في انشاء السلالة الفاطمية . وتوجد هذه العقيدة أيضاً بين الفرق ذات العلاقة بالاسماعيلية كالنصيريين والدروز . وقد طرأ عليها عند النصيريين خاصة تطور واسع . ويذكر داسو Dassoud الذي يعتقد ان النصيريين قد اقتبسوا هذه العقيدة من الاسماعيليين ، التفصيلات الهامة التالية (١) : « لا يستطيع أب ان ينشئ ابنه او احد اقاربه ، ان التنشيء يخلق بين المنشئ والمنشأ صلة روحانية شبيهة بالصلة النسبية والمنشأ يصبح ابن منشئه حتى انه لا يجوز ان يتزوج من بناته لانه يصبح اخا لهن » .

ثم يفصل داسو مراسيم التنشيء التي يختتمها الامام بخطبة يقارن فيها مقارنة مضطربة بعض الشيء ، بين الجماع والحمل والولادة من جهة ، والتربية والتنشيء من جهة اخرى ، وعلى هذا فان درجات التنشيء الثلاث تقاظر ادوار الجنين وتعين اوقاتها بحسب ذلك . وهذه الفكرة موجودة عند الاسماعيلية في سورية كذلك (٢) .

(١) Histoire et Religion des Nusairis, 105 ff

(٢) كويارد : Fragments, 210 . وقد واثني الفرص السارة فشهدت

اثناء زيارتي لقرية مصيف الاسماعيلية في سورية الوسطى عرضاً طويلاً للنكاح الروحاني قام به امام الجماعة .

وتوجد هذه الفكرة بين الدروز (١) ايضا . فحمزة يذكر في رسالته المسماة بأسيرة المستقيمة بشأن القرامطة (٢) بأن استخلاف الأئمة والحجج يعتمد أبدا على الأبوة الروحانية وليس على الأبوة الجسمانية وعلى هذا فإن لآدم المعروف بأدم صفا (أول الأروام الثلاثة في عالم الدروز) أبا وأما .

« وقد قيل انه لا أب ولا أم لانه كان اماما في حقه » . اي لم يفوضه سلف .

أما صلة آدم الثالث بالثاني فقد وصفت بما يلي :

« وكان ابنا دينيا وليس جسمانيا (٣) » .

ويذهب الدروز الى حد يرفضون فيه المعنى الحرفي للعبارة القائلة ان ليس لآدم ابوان . ويعتبرونه غير معقول (٥) .

وبهذه الطريقة نفسها يوضح الكتاب السري الاسماعيلي وهو الايضاح والبيان (القرن الثالث عشر للهجرة) بأن جنة عدن تعني الدعوة ، وان اخراج آدم يعني تدهوره الى دركة احط وان نريته هم حواريون ليس غير (٥) .

(١) دو سامسي ٥٧٨/٢ .

(٢) ورقة ٧٤ وما بعدها - انظر دو سامسي : Expose 11, 112 FF.

(٣) ورقة ٧٩ ف .

(٤) ورقة ٧٤ ف . ولا يزال الاسماعيليون في الهند يتناقلون حديثا منسوباً للامام علي يقول بوجود بشر قبل آدم . ولهذه العقائد صدى قوي في لزوميات ابي العلاء المعري .

(٥) لويس : Ismaili Interpretation, 694 . لا وجود لهذا التفسير

في كتاب كلام-بير : وهو كتاب اسماعيلي متأخر ، وتذكر فيه قصة آدم على نمط اقرب ما يكون الى نمط المسلمين السنة ، كما ان آدم والانبياء الآخرين قد جاءت فيه ايضا بالمعنى الحرفي والجسماني بتأكيد كبير . ولكن نظرا لبينات اخرى لا نستطيع ان نشك بأن كتاب الايضاح والبيان يمثل مرحلة قديمة من مراحل تطور العقيدة الاسماعيلية .

ولكن الى اي مدى يقاتر الاستخلاف في الامامة بالتبني ؟
اجازت الاستخلاف بعض الفرق الشيعية التي نشأت قبل
الاسماعيلية بالتفويض او التعيين ، فجعل بعضها سلمان اماما .
ورفعت فرق شيعية أخرى سلالة كاملة من المدعين الى درجة
الامامة بمجرد دعوى التفويض من قبل اسلاف علويين .

ومن هنا كانت ادعاءات ابي منصور والمغيرة وبيان بن
سمعان وأول العباسيين الذي ادعى ان ابا هاشم بن محمد بن
الحنفية فوض اليه الامامة وعينه لها (١) .

ويظهر من العبارة التي اقتبسناها من نصير الدين الطوسي
ان بين الاسماعيليين من يرى جواز التفويض لابناء الائمة
الروحانيين وهذا يعيننا على تفسير العبارة الواردة في كتب
الدروز (٢) التي تذكر الائمة المستورين بين اسماعيل وعبد الله
المهدي ، وتعلق على بعضهم انهم « من ولد القداح » . ومن هنا
يتضح لنا ان استخلاف الامامة استخلاف روحاني ، وان كلمة
ابن لا تعني غير تلميذ . اما عبارة « من ولد القداح » فقد
اضيفت الى ذرية ميمون القداح لتبين نسبهم الجسماني ، وهو
امر ذو اهمية ثانوية . ومثل هذا التفسير يتفق وما اقتبسناه من
رشيد الدين الطوسي وقد اخذ به ماسينيون . وهو الحجة الثابتة
فجعل عبد الله بن ميمون هو المتبني او الابن الروحاني لمحمد بن
اسماعيل ولذلك يكون السلف الجسماني لسلالة الخلفاء الفاطميين
جميعا اخلاف عبد الله بن ميمون نسباً (٣) .

(١) انظر مواضع متفرقة من الفصل الاول .

(٢) مخطوط في باريس رقم ١٤١٠ ، ورقة ١١٨ - ١١٩ - انظر دو ساسي :
Exposé II , 570.

(٣) مقالة عن القرامطة في دائرة المعارف الاسلامية .

ويرتضي مامور (١) ايضا بما قال رشيد الدين ويجتهد لأن يبرر الحق العلوي الشرعي للفاطميين يجعله ميمون القداح هو محمد بن اسماعيل . غير ان ميمونا قد صح وجوده تاريخيا في المصادر الشيعية بل وفي الاسماعيلية منها ايضا ، وهذا مما يخذل رأيه ويفنده .

بيد ان بعض الصعاب تعترضنا في قبول نظرية ماسينيون فلو وافقنا على ان ابن القداح قد خلف محمد بن اسماعيل بالتبني الروحاني فهل من الضروري ان يكون كل من خلفه من الائمة « من ولد القداح ؟ » ، ان عبارة « من ولد القداح » انما اضيفت في قائمة الدروز لبعض الائمة المستورين لا اليهم كلهم . وصحيح ان سعيدا وهو عبيد الله المهدي اول الخلفاء الفاطميين كان من بين من اطلقت عليهم هذه العبارة ، الا انه لم يثبت بعد ، ان سائر الخلفاء الفاطميين كانوا من ذريته الجسمانية .

٣ - المستقرون والمستودعون

٢ - وربما تزيد مسألتنا اتضاحا بتمحيص وجه آخر للعقيدة الاسماعيلية في الامامة الا وهو التفريق بين الامام المستودع والامام المستقر .

يقول كلام بير (٢) : « الامام المستودع هو ابن الامام واكبر ابناؤه ، ان كان له كثيرون ، والعارف بأسرار الامامة كلها واعظم اهل زمانه ما دام قائما بالامر . الا انه لا حق له في تفويض الامامة الى شريكه الذين يكونون سادة ولا يكونون ائمة

(١) Polemics, 78 ff

(٢) ٧٥ - الهمداني . بعض المؤلفين الاسماعيليين المجهولين ٣٦١ .

ابدا . اما الامام المستقر فهو يتمتع بامتيازات الامامة كلها ، وله الحق في ان يفوضها لخالفه ،

ان عقيدة الامام المستودع وهو الذي تكون الامامة عنده وديعة ، معروفة بين الفرق الغالية قبل الاسماعيلية . وقد بين الاستاذ تريتون (١) (A. S. Tritton) حالات عدة لها عندهم . وعلى هذا فالتفريق الاسماعيلي بين المستودع والمستقر ان هو الا تنظيم لمبدأ مقرر .

ومما يتصل اتصالا قريبا بعقيدة الامام المستودع ما يصح ان نطلق عليه عقيدة الامام الحفيظ في اثناء الظروف الخطيرة (٢) ان ينتحل بموجبها بعض الدعاة القاب الامام ووظائفه او يظل الامام الحق مستورا ليدبروا الحركات ويخبروا اتجاه الراي العام دون ان يتعرض الامام المستقر لخطر . ومن هذا ما نقرأ في كتب اسماعيلية (٣) عدة بأن الامام احمد - الذي ينسب له تأليف رسائل اخوان الصفا - اذن للداعي الترمذي ان يظهر بين الناس اماما ويتقبل الموت بهذه الصفة ، وذلك للتأكد مما اذا كانت الظروف ملائمة لظهور امره .

ولعلنا لا نكون متسرعين في الحكم اذ زعمنا ان ابناء الائمة الروحانيين ، ولا سيما القداحيين منهم قد مثلوا دور الامام المستودع او الامام الحفيظ . وعلى هذا فالاسماء التي جاءت قائمة الدروز معلمة بـ ممن ولد القداح ، انما تشير الى الائمة المستودعين ، وسائرهما هم الائمة المستقرون في قائمة المستقرون .

Miscellany 925 (١)

(٢) ملاحظاتي عن هذه العقيدة مستندة الى احاديث شفوية مع اسماعيلي هندي مثقف

(٣) الهمداني : الرسائل ، مجلة الاسلام ٢٠/٢٩٢ - ٣ .

ويفسر لنا هذا أيضا سبب زيادة الأئمة المستورين في قائمة الدروز بأسماء عدة على غيرها من قوائم الاسماعيلية (١) . وكان سعيد عبيد الله ، وهو آخر القداحيين ، ثم خلفه بعد وفاته أبو القاسم محمد القائم ولم يكن ولده . ولكنه كان الإمام المستقر الذي كان يعمل من أجله سعيد .

ان تفسيرا مثل هذا لم يرد في كتب الاسماعيلية التاريخية ما يؤيده . فالتاريخ الرسمي لتأسيس الخلافة الفاطمية الذي ألفه القاضي نعمان . وكتاب عيون الاخبار للداعي ادريس ، والكتب الحديثة كالفلك الدوار ورياض الجنان كلها تتمسك بالحق الشرعي العلوي لسعيد تمسكا قويا (٢) بيد اننا علينا ان نتذكر ان جميع الكتب التاريخية ظاهرة في طبيعتها ، وضعت لجماهير الناس فهي لا تكشف عن دوائر الفرق واسرارها الخفية .

على اني قد بنيت رأيي على بيئة غيرها نبهني اليها وسمح لي باستنساخها صديقي م . ه . الاعظمي من كتاب ديني اسماعيلي سري هو غاية الموالييد لسيدنا الخطاب بن الحسن (او الحسين) بن أبي الحفاظ الهمداني الداعي اليماني المتوفى سنة ٥٢٢ هـ ١١٢٨ م (٣) ولاهمية هذه العبارة اورد نصها كاملا فيما يلي :

« وذلك ما روي عن الامام جعفر بن محمد الصادق (صلح) في تسليمه الامر الى ولده اسماعيل (صلح) وغيبه اسماعيل وولده محمد بن اسماعيل في حد الطفولة ، ولم تكن الامامة ترجع القهقري منه كما لم ترجع من غيره ، فإودع حجته المنصوبة

(١) كما في دستور المنجمين وعيون الاخبار ... الخ .

(٢) Fyze. List, P. 8 ، حيث يذكر ثلاثة أئمة مستورين بعد محمد بن

اسماعيل ، ويجعل المهدي الخليفة الفاطمي الاول .

(٣) ايافانوف . Guide

بين يديه ميمون القداح مقامه لولده واقامه سترا عليه وقدمه بين يديه واستكفله اياه الى بلوغه اشدّه ، ولما بلغ اشدّه تسلم وديعته ثم جرى الامر في عقبه خلفا عن سلف حتى انتهى الامر الى علي بن الحسين بن أحمد بن اسماعيل ٠٠٠ بن علي بن ابي طالب ٠ وكان على يديه طلوع الشمس وذلك انه لما ظهر النور باسقا باليمن وبلاد المغرب سار ولي الله في ارضه على ابن الحسين يريد بلاد المغرب ، حتى كان في بعض طريقه من الشام وظهر الغيبة واستحلف حجه سعيد الخير الملقب بالمهدي ، عليهم السلام فبث قواعد الدعوة وجرى عليهما من ضدهما بسجلماسة من العمال بالمغرب ما جرى ووقى الله بوليه كيده ٠٠٠ ولما حضرت المهديّة النقلة سلم الوديعة الى مستقرها وتسلمها محمد بن علي القائم بأمن الله وجرى الامامة عقبه حتى انتهت الامامة الى مستقرها ومعدنها واطمانت بموضعها وموطنها ، ٠

وقد اخبرني صديقي الاستاذ الاعظمي بأن امثال هذه العبارة وارادة في كتب اسماعيلية باطنية اخرى يملكها ، وتضيف بعض هذه العبارات الى العبارة السابقة ان سعيدا نفسه من ولد القداح ٠

ويتضح بجلاء ان مضمون هذه الفقرة المقتبسة يجعل مسألة النسب الفاطمي اسسا جديدة فهي باقرارها صراحة ان المهدي لم يكن علويا ، تهدم بضربة واحدة جميع البراهين التي تحاول ان تدلل على النسب الفاطمي بايجاد شجرة نسب علوي للمهدي وتترك لنا اختيار احد امرين : اما ان نرفضها واما ان نتقبل محتوياتها التي تجعل القائم - وهو الخليفة الفاطمي الثاني - الامام المستقر الذي دعا له المهدي وليس ابنه بعد ان تعتبره علويا ٠

نحن نعترف بان هناك حججا قوية تحول دون الاعتراف

بهذه الرواية ، منها انه اذا كان الاسماعيليون يتمتعون بمثل هذا المركز الحسن فلم يخفونه ويحاولون تبرير حقهم باختلاق نسب علوي للمهدي ؟ ومنها ان كتاب غاية المواليد قد وضع في القرن الثاني عشر للميلاد وهو يمثل مرحلة متأخرة من مراحل الدعوة افلا يحتمل ان يكون زيف علوية المهدي الصريح قد اصاب بالمؤرخ ان يوجد اسما اخرى لادعاءات الفاطميين ؟

ولكن مهما بلغت هذه الاعتراضات من قوة الحجة فانها تنتقض وتتلاشى اذا ما قارنا نصنا السالف بكتابات الدروز : ان نجد فيها اتفاقا تاما ومطابقة كاملة .

تذكر الكتابات الدرزية سبعة ائمة من اسماعيل الى عبدالله المهدي وتصف بعضهم بأنهم من ولد ميمون القداح . ومن هذا يبدو ان القائمة قد شملت الائمة المستقرين - وهم الائمة العلويون الدائمون - والائمة القداحين او الحفاظيين . وتبين الكتابات الدرزية بجلاء ان المهدي نفسه من الجماعة الثانية . قال دو ساسي (١) « يقول حمزة رئيس فرقة الدروز ، في حديثه عن المهدي الذي يسميه سعيد بن احمد ان لديه شيئا مودعا (Une chose déposée)

وان الحاكم استرجعه . ونفهم من تعليقه بين سطور المخطوطة ان هذا الشيء المودع لديه هو مقام الامامة . ولست املك النص العربي لهذه العبارة ولكن يظهر لي ان كلمته الفرنسية (Une chose déposée) يجب ان تكون وديعة ، لاننا قد نقرا (حاكم) قائم) نظرا لان الدروز يعتقدون بأن الائمة كلهم شخص واحد .

ومما يؤيد هذا القول ما نجده في رسالة تقسيم العلوم (١)
حيث يذكر المؤلف في كلامه على (سعيد المهدي) :

(وهو الذي استودعه المولى المل جل اسمه الوديعه وامره
بخدمه مولانا القائم جل اسمه . وكان اول ظهور المولى للعالم
بصورة اسمها القائم واول ما ظهر بمملكة الدنيا في ذلك الوقت)

لم يخف على دو ساسي أن يلحظ الفرق في المرتبة بين
المهدي وخلفه القائم اذ يقول (٢) « وما يجدر ذكره أن عبيد الله
- وهو سعيد نفسه - منشيء سلطان الفاطميين واول خلفاء
اسوتهم والذي دعا نفسه بالمهدي وأقر له بذلك . لا يضيفي الدروز
عليه قدسية الهية بل يقصرون هذا الشرف على ابنه وخلفه القائم .
واعتقد أن الانسان ليستطيع تفسير ذلك على فرض أن الشخص
المسمى المل كان معاصرا لسعيد ولكنه توفي قبل مولد القائم
وقد كانت الالهوية متجسدة في المل ولذلك فلا يمكن التصور
بأنها كانت متجسدة في سعيد في نفس الوقت ، »

اننا اذا اردنا أن نفسر العبارات الدرزية على ضوء
مصدرنا الاسماعيلي فلا يمكننا أن نفسرها الا تفسيراً واحداً وهو
أن المل المبهم وسلف القائم في الامامة ليس الا علي بن الحسين
المذكور في غاية المواليد والاب الجسماني لمحمد بن علي القائم .
وان سعيد المهدي - الذي تضعه المصادر الدرزية في مرتبة ادنى
كان اماماً مستودعاً من ولد القداح ، أرسل ليمهد السبيل ويحتمل

(١) ورقة ١١٩ - انظر دي ساسي ٢٨/١ . وفي رسالة درزية اخرى عبارة

مثل هذه العبارة نقلها دو ساسي ٨٠/١ - ٨١ .

(٢) ٢٨/١ ، ملاحظة ٢ ، (انظر أيضا ٨٤) - انظر بلوشيه ٩٤ : « في

النظرية الاسماعيلية ان المهدي لم يدع أنه مجسد الالهوية ، وانما ذلك
هو ابنه القائم الخليفة الفاطمي الثاني . وما المهدي الا ابو القائم أو
حجة القائم ، »

المخاطر لأجل الامام العلوي المستقر الذي خلفه بعد وفاته .
 وهكذا يتضح لنا ان هناك فرعين لنسب الاثمة احدهما العلويون
 المستقرون وثانيهما القдахون المستودعون وذلك خلال عهد الغيبة
 المهتدى بمحمد بن اسماعيل وعبد الله بن ميمون القдах والمنتهي
 بسعيد الخير والقائم ، الخليفة الفاطمي الشرعي الاول (١) .
 والآن نستطيع ان ننقل الى بحث ، اكثر تعقيدا ، عن الشخصيات
 البارزة لهذا العصر المضطرب .

٤ - ميمون وعبد الله بن ميمون القдах

من اهم شخصيات الدعوة لهذا العصر وإبرزها هو ميمون
 القдах وابنه عبد الله ، وقد توفرت عنهما جملة روايات متضاربة
 وما يلي يمثل محاولة لجمع المعلومات الرئيسية لدينا وتصنيفها (١)
 الأسطورة السنية : اول ما نبدا به هو ما يصح ان نسميه
 بالأسطورة السنية في ميمون وعبد الله ، كما وردت في غالبية
 كتب السنة وفي كتابات المستشرقين الاوروبيين الاولين بعدئذ .
 واقدم رواية سنية لها جاءت في كتاب ابن رزام (القرن الرابع

(١) وهذا الفرق بين الامام المستودع والامام المستقر قد ظهر تأييده في
 كتاب يسمى (اربعة كتب اسماعيلية ، نشره وعني بتصحيحه شتروطمان
 غوتنغن سنة ١٩٤٣ وهو كتاب اسماعيلي من كتب القرن الخامس
 الهجري .

(١) جمعت اكثر مواد هذا الفصل عندما نشر محمد خان القزويني المجلد
 الثالث من كتابه خويني . وفي التعليقات على (ص ٣١٢ - ٣٤٣)
 مجموعة مواد نافعة عن عبد الله بن ميمون . وقد أعرت هذه المجموعة
 أهمية خاصة وأجريت بعضها من التصحيحات في مجموعتي .

الهجري) وقد حفظها لنا ابن النديم (١) في الفهرست ، والمقرئزي في الاتعاظ والمقفى ، والنويري في نهاية الأرب و خلاصة رواية ابن وزام التالية جمعناها من الرويات الواردة في هذه الكتب .

كان ميمون القداح ابن رجل مثنوي يدعى ديسان وكان يعتقد بمبادئ غالية وقد سميت الفرقة الميمونة باسمه وكان من اتباع ابي الخطاب وكان هو وابنه ديسانين (٢) .

وكان ابنه عبد الله شرا منه ، واسع الاطلاع في جميع المذاهب والاديان ، قوي المكر والاحتيال . ادعى انه نبي ، ودعم دعواه بالشعاويد واستعمال الحمام الذي مكنته ان يخبر بالاحداث الكائنات في البلدان الشاسعة ووضع نظاما في معتقداته جعله في سبع مراتب (٣) آخرها الالحاد التام والاباحة وحاول ان يؤلف مجتمعا يستطيع ان يسيطر على موارده . وكان يدعو في الظاهر للامام محمد بن اسماعيل . وقد اصطنع التشيع لآل النبي وظهر الزهد والعبادة .

وقد جاء في الاصل من محل في الاهواز يسمى قورج العباس ونزل في عسكر مكرم ، ثم طرد منها فذهب هناك ساباط ابي نوح وبنى له فيها دارين . فافتضحت هناك شعورته ودخله فأخرجه الشيعة والمعتزلة فسار الى البصرة . فنزل على قوم من اولاده عقيل بن ابي طالب (٤) ، ودعا لمحمد ابن

(١) الفهرست ١٨٦ - الاتعاظ ١١ وما بعدها - دي ساسي ٤٢٨ وما بعدها - كاترمير : مقفي المقرئزي ١١٧ - فاكنان : مقفي المقرئزي ٣٩ .
(٢) العبارتان الاخيرتان موجودتان في الفهرست وغير موجودتين في الاتعاظ .

(٣) المراتب السبع في الاتعاظ وليست في الفهرست .

(٤) هكذا في الفهرست ، أما الاتعاظ فيقول : « ادعى انه من نرية عقيل » .

اسماعيل . وكان بصحبته الى البصرة رفيق له يدعى حسين
 الاهوازي . وقد طارده الجنود في البصرة فهرب هو ورفيقه
 الى سلمية وبقي مستترا فيها حتى مات . وبث الدعاة من
 سلمية الى العراق فأجابهم رجل يعرف بحمدان بن الاشعث
 ويلقب بقرمط (١) . ونصب له عبد الله رجلا من ولده يكاتبه
 من الطالقان وذلك في سنة ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م (٢) ثم مات عبد
 الله فخلفه ابنائه في توجيه الدعوة حتى نجح احدهم (ويدعى
 سعيدا) في أن يؤسس الدولة الفاطمية في افريقية وأدعى انه
 من سلالة محمد بن اسماعيل بن جعفر .

هذا هو مجمل القصة كما ذكرها ابن رزام . ويزيد
 الفهرست عليها دون ان يشير الى سنده ما يلي من التفصيل (٣) :
 وكان ممن واطا عبد الله على امره رجل فارسي يعرف
 بمحمد بن الحسين ويلقب بزيدان من ناحية الكرخ من كتاب
 احمد بن عبد العزيز بن ابي دلف (٤) وكان هذا الرجل متفلسفا
 حاذقا بعلم النجوم شعوبيا شديد البغض للاسلام . وقد تنبا ،
 مستندا على مطالعة النجوم ، بسقوط دولة العرب وعودة
 الامبراطورية الفارسية وديانتها . وكان يأمل ان يتم ذلك على
 يديه فواظا هذه الدعوة القداحية وظاهر عليها عبد الله بن
 ميمون وجعله وريثه . وتؤلف قصة زيدان - وقد يدعى دندان -

(١) ينكر الفهرست ان حمدان قرمط قد صبا الى الدعوة في حياة عبد الله
 أما الاعتاظ فيقول في حياة خلفه .

(٢) هكذا في الفهرست وليس في الاعتاظ .

(٣) ١٨٨ قارن دي خويه ١٥ .

(٤) والي كردستان في زمن العباسيين حكم بين سنتي ٢٦٥ - ٢٨٠ هـ
 ٨٧٨ - ٧٩٢ م .

التي نقلها الكتاب المتأخرون وتوسعوا فيها ، ورواية ابن رزام
- الاسس لجميع الابحاث السنية في هذا الموضوع تقريبا .

ويلاحظ ان هناك خلاقات طفيفة بين روايتي الفهرست
والاتعاظ وتناقضا كبيرا واحدا في تثبيت التواريخ . فبينما
يجمل الفهرست ميمونا معاصرا لابي الخطاب الذي قتل سنة
١٢٨ هـ ٧٥٥ م يذكر ان ابنه كان حيا في سنة ٢٦١ هـ ٨٧٤ م .
وهذه مصادفة بعيدة الاحتمال . اما الاتعاظ فانه لا يذكر
التواريخ .

وقصة زيدان تؤيد التاريخ الثاني اذ لا بد ان يكون
زيدان قد عاش - اعتمادا على رواية الفهرست - في القرن
الثالث للهجرة . ويختلف الكتاب السنة المتأخرون في حياة
عبد الله بن ميمون واعماله اكانت في القرن الثاني ام في
القرن الثالث ؟ اما الباحثون الاوروبيون فدو ساسي (١)
ودو خويه (٢) يرجحان انها كانت في القرن الثالث ، وكازانوف
(٣) وماسينيون (٤) يريان انها كانت في القرن الثاني . وسنرى
انه لم يبق شك في صحة رأي كازانوف وماسينيون .

ويمكننا الآن ان نفحص بعض المصادر السنية الأخرى .
أورد لنا الامير عبد العزيز بن شداد حاكم افريقية في القرن
السابع الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي) بحثا ضافيا في
كتابه تاريخ افريقيا والمغرب لم استطع ان احظى بنصه
الاصلي وان كانت مخطوطاته موجودة في مصر وسوريا ، على

Exposé 1, Intro., 67 and 165 (١)

Mémoire , 13 ff . (٢)

Un Date Astronomique. f. A., 1915. (٣)

مقالة عن القرامطة في دائرة المعارف الاسلامية . (٤)

ان النويري (١) والمقريزي (٢) وأبا الحسن (٣) قد حفظوا لنا
قسما منه واقتبسه ابن الاثير (٤) . وفي كتاب Ptolemy (٥)
للمامور ترجمة انكليزية له مع مقارنة للروايات المختلفة .

وفيما يلي مجمل ما قاله : كان من أتباع أبي الخطاب
وأصحابه رجل يعرف بميمون بن ديسان بن سعيد غضبان
صاحب كتاب الميزان (٦) في نصره الزندقة . وكان لهما ثالث
يدعى أبا سعيد من رام هرمز في الأهواز (٧) . وقد قام الثلاثة
ببث أفكار متطرفة وعقائد غالية . وانتشرت دعوتهم ودخل فيها
أناس كثيرون .

فلما افترضت مذاهبهم وآراؤهم قتل أبو الخطاب وجماعة
من أصحابه وتفرقت هذه الطائفة وفر ميمون مع بعض أتباعه الى
القدس فاحتالوا على القوم بالشعوذة والمارنجيات والزور والنجوم
والكيمياء وازهار الزهد . ونشأ لميمون ابن يقال له عبد الله القداح
لقبه العقائد وأطلعه على الاسرار ومرنه ليكون خلفه . وقد أشار
عليه ان يظهر التشيع .

وفي اثناء حكم الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ
٨١٣ - ٨٣٣ م) دبر عبد الله بن ميمون مع كثير من أتباعه

(١) مخطوط في لاينز - De Sacy, Exposé, 1, Intro., 440.

(٢) المقفى : كاترمير ، المجلة الاسيوية ، آب ١٨٣٦ ص ١٢١ - ١٤٢

وفانيان ٧٧ وما بعدها .

(٣) النجوم الزاهرة ٤٤٦/٢ .

(٤) ٢١/٨ .

(٥) ٤٥ .

(٦) هكذا يسميه ابن الاثير وكتاب النجوم الزاهرة . أما المقريزي فيسميه

كتاب الميدان .

(٧) لم يذكر النويري ولا أبو الحسن . أبا سعيد معهم .

حوراء هجيرة في الكرخ واصفهان وكان من بين اتباعه رجل فارسي ثري اسمه محمد بن الحسين ويلقب بدندان ساعده وشد ازده . ولما توفي دندان ذهب ابن ميمون الى البصرة فنظم الدعوة . ثم خلفه بعد وفاته اعداؤه ومنهم كان الخلفاء الفاطميون .

تجعل هذه الراوية ، التي اخذها ابن الاثير ، ميمونا معاصرا لأبي الخطاب وعلى هذا فهي تعتبره من اهل القرن الثاني الهجري وتتفصل في مسألة او مسألتين من حياته .

ويذكر البغدادي (١) : أن عبد الله بن ميمون ديسان المعروف بالقداح كان مولى لجعفر بن محمد الصادق وكان من الاهواز ومن اصحابه دندان ، لقيه في سجن العراق فأسس مذهب الباطنية ونشراه بعد خلاصهما في السجن . ورحل عبد الله الى ناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية الى عقيل بن ابي طالب ثم ادعى أنه من سلالة محمد بن اسماعيل وكان سعيد ، وهو أول الخلفاء الفاطميين ، من ذريته .

ويذكر عبد الجبار (٢) أن مؤسس مذاهب الباطنية ومنظم عقائدها هو عبد الله بن ميمون بن ديسان بن سعيد غضبان مع دندان . ويقول بأن هذه المعلومات قد اذاعها القرامطة اثناء حكم زكريا في البحرين (٣) عندما نشروا كل اسرارهم بأنفسهم .

ويقص ابو المعالي (٤) أن الذين أوجدوا الباطنية ثلاثة نفر

(١) ١٦ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ ، الترجمة ٣٥ ، ١٠٨ ، ١٣١ . انظر ايضا :

مختصر الفرق بين الفرق ١٧٠ ، وليس من الواضح أنقرأه عبد الله بن ميمون أم عبد الله فقط ؟

(٢) ورقة ١٤٧ ف .

(٣) انظر : بو خويه ١٢٩ وما بعدها .

(٤) طبعة اقبال ٣٦ - ٧٥ - Massé , 158 - Shefer

من الكفار ، يعرف أحدهم بابن ميمون القداح . وقد أنشأوا مجموعة من العقائد ونظموا دعوة ونصبوا أحد أبناء ميمون اماما ، وانتحلوا له نسبا علويا .

ويجعل الجوبري (١) عبد الله ابنا لميمون بن مسلم بن عقيل (او عقيل) وهذا خبط واضح مصدره انتماء عبد الله الى بنسي عقيل وادعائه نسبهم . وقد ظهر عبد الله كما يذكر الجوبري أيام المأمون فسجنه بالخليفة ومات في السجن . وكان قد ادعى النبوة وأيد دعواه بالشعاويذ والحيل . وكان مجيئه من سواد الكوفة .

ويذكر ابن الجوزي (٢) رئيسا زعمته الباطنية ، اسمه عبد الله بن عمرو وابن ديسان القداح الاهوازي المشعوذ الكذاب ، نظم الدعوة في انحاء كثيرة من البلاد الاسلامية وتظاهر بالزهد والعبادة وادعى انه من سلالة محمد بن اسماعيل .

ويقول السمعاني (٣) ان عبد الله كان من معية محمد ، خدمه وخدم أباه اسماعيل ولما توفي اسماعيل ادعى أنه ابنه ، بيد انه كان في الحقيقة ابن ميمون القداح .

وتذكر سياسة نامة (٤) عن عبد الله بن ميمون القداح أنه كان في الاهواز وأنه استمال المبارك مولى محمد بن اسماعيل (٥) وأسس الفرقة ونظم الدعوة . وقام عبد الله ببث الدعوة في قوهستان العراق ، واحتال بالسحر والنانجيات . وبعد أن اتخذ لنفسه مساعدا يدعى خلف ، وجد نفسه في خطر ، فهرب الى البصرة ومعه

(١) ١١ .

(٢) Smogyl, R. S. O., P. 256 and 264.

(٣) الانساب ٤٤٣ .

(٤) ١٨٢ ، الترجمة ٢٦٩ .

(٥) نظر الفصل الاول .

ابنه أحمد فاستمر في نشر الدعوة سرا حتى وفاته ، ففارق أحمد
البصرة الى افريقية ثم استقر في سلمية .

ويصف الشاعر أبو العلاء المعري (١) عبد الله بن ميمون
انقذاح في فقرة غريبة اذ يقول بأنه باهلي وأنه كان من عليّة
أصحاب جعفر الصادق ثم ارتد عنه فيما بعد والشيعة رغم
ذلك يحترمونه محدثا ويروون عنه الحديث قبل ارتداده . ثم ينقل
أبو العلاء أبيات عدة من الشعر منسوبة لعبد الله يعلن فيها براءته
من جعفر .

ويذكر الذهبي (٢) عن عبد الله بن ميمون القذاح المكي (!)
انه محدث وأنه مولى جعفر . ويقتبس آراء مختلفة توثقه في رواية
الحديث وتجعله حجة ، ويسطر أسماء أشخاص كثيرين رووا عنه .

ويورد شهاب الدين بن العمري (٣) في كتاب التعريف صيغة
القسم عند الاسماعيلية وهي : (ان كان ما أقوله كذبا ولم أقل
باننقال الامامة الى السيد الحسين ثم بنيه بالنص الجلي موصلة
الى جعفر الصادق ثم الى اسماعيل صاحب الدعوة الهادية والاثرة
الباقية ، والا قدحت القذاح ، واثمت الداعي الاول ٠٠٠) .

ويزيد رشيد الدين والجويني قليلا من التفاصيل على ما
استفدناه من المصادر السالفة . فرشيد الدين (٤) ، بعد أن يجعل
أبا الخطاب مؤسسا للباطنية ، يعتبر ميمون القذاح وابنه عبد الله

(١) رسالة الغفران ١٥٦ - نكاسن : مجلة الجمعية الاسيوية الملكية
١٩٠٢ ص ٣٥٣ .

(٢) ميزان الاعتدال ٨١/٢ .

(٣) التعريف ١٥٧ - ١٥٨ .

(٤) ليفي : مجلة الجمعية الاسيوية الملكية ١٩٣٠ ص : ٥١٢ ، ٥١٧ ،
٥١٩ ، ٥٢٢ . - بلوشيه ٦٧ - ٦٩ .

من بين الدعاة ، وكان كلاهما من علماء الفرقة وأعيانها ، ويذكر بأن عبد الله نزل سنة ٢٩٥ هـ ٩٠٧ - ٨ م في عسكر مكرم في محل يدعى بساباط ابي نوح حيث توقف في دعوته واستجاب له كثيرون ولما افتضح أمره فر الى البصرة ونزل على قوم من بنسي عقيل ثم ذهب من هناك الى قوهستان فارس والاهواز واستمر في نشر الدعوة وبث الدعاة الى اماكن مختلفة . ولما توفى أبوه رحل الى سورية ونزل سلمية وظل فيها حتى مات . فخلفه ابنه احمد . وقد لاحظنا عبارة رشيد الدين ، تلك العبارة التي تنص على أن جعفر الصادق أرسل ميمون القداح بصحبة حفيده محمد بن اسماعيل ثم أصبح محمد الاب الروحاني لعبد الله بن ميمون .

ورواية جويني (١) تكاد تكون رواية رشيد الدين نفسها .

وفي هذا الصدد والمعنى كلام كثير غير ما ذكرناه ، مسطور في كتاب ابن خلكان (٢) وجمال الدين الحلبي (٣) والمقريري (٤) والسيوطي (٥) وغيرهم ولكنهم لا يضيفون شيئاً الى معلوماتنا .

بقي علينا أن نشير الى محضر بغداد الشهير الذي كتبه ببغداد سنة ٤٠٢ هـ ١٠١١ م جماعة من أعيان العلويين والقضاة وغيرهم . وفي هذا المحضر قدح بنسب الفاطميين وشهادة لكاثبيه بأن جدهم هو ديصان بن سعيد الذي سميت باسمه الفرقة الديسانية . والمحضر لا يشير الى ميمون أو ولده عبد الله . وقد

(١) جهان كوشا ١٥٢/٣ - بلوشيه ٦٧ - ٦٩ ، ٨٨٩ .

(٢) ٣٤٢/١ - سلين ٧٧/٢ .

(٣) وستنفيلد ٣ - ٤ .

(٤) الخطط ٣٤٨/١ .

(٥) تاريخ الخلفاء ٣ .

حفظ لنا نصه أبو الفداء (١) والمقرئزي (٢) وأبو المحاسن (٣) وجويني (٤) بشيء من الاختلافات الطفيفة .

هذه هي قصة ميمون وعبد الله القداح كما ترويهما كتب السنة . ويلاحظ القاريء أنها لا تختلف عما يرويه لنا ابن رزام إلا بشيء قليل من الزيادة والتغيير . ويمكننا أن نغض النظر عن الاختلافات القليلة لاضطرابها الظاهر ولأنها تنافي غالبية الروايات وهكذا يكاد يبدو من المؤكد أن الأسرة جاءت في الأصل من الأهواز، وأن عسكر مكرم وساباط أبي نوح والبصرة وسلمية كانت ، على التعاقب مراكز القيادة التي أدار منها ميمون وابنه الدعوة . وتتفق غالبية المصادر في جعل سلمية آخر مقر لعبد الله .

الا أننا يجدر بنا أن نلاحظ بعض المتناقضات الواردة في الروايات ، إذ أن البغدادي والجوبري يقولان - خلاف غيرهما - بأن عبد الله كان- في وقت مأسجينا في العراق . ويؤكد الجوبري أنه مات في السجن . ولكن الدلائل الكثيرة تساعدنا كسي نرفض (ونحن واثقون) دعوى الجوبري بموت عبد الله في السجن ، وأن كان من المحتمل أنه قد دخل السجن حقا في فترة من حياته ، ومثل ذلك دعوى سياسة نامة بموته في البصرة .

ومع أنه من المحتمل أن يكون ميمون قد أقام (في القدس) فترة من الزمن الا أننا نستطيع أن نرفض ما ذكره البغدادي عن رحلة قام بها عبد الله إلى افريقية . إذ يظهر ذلك بعيد الاحتمال ،

(١) ١٧ - ١٤/٢

(٢) الاتعاظ ٢٢

(٣) المجلد الثاني ، القسم الثاني ص ١١٢ - ١١٣

(٤) ١٧٤/٢ . وتوجد ترجمته في : De Sacy , Intro ., 253

يتمارض مع جميع المصادر الاخرى اذ يقتصر على ذكر رحلتين
ثنتين فقط - رحلة ابي سفيان والحلواني (١) سنة ١٤٥ هـ -
٧٦٦ م ورحلة ابي عبيد الله الشيعي - ونستطيع ان نعلل هذه
الغلطة بان حوادث متأخرة نسبت الى الماضي .

وهناك ايضا بعض الاختلافات في مسألة صلات عبد الله بال
عقيل . فرواية ابن رزام في الفهرست ورواية رشيد الدين كلتاهما
تذكر بان عبد الله التجا الى بني عقيل او عقيل . بينما تذكر رواية
ابن رزام في الاتعاظ وابن الاثير والبغدادي والنويري (٢) بانه
دعى انه من نرية عقيل بن ابي طالب اخي الخليفة علي بن ابي
طالب (٣) . اما الجويري فانه يجعله احد احفاد عقيل او عقيل ولا
ينسب بنوته الى ابي طالب ولا الى غيره .

وتذكر رواية (اخو محسن) الواردة في كتاب النويري (٤)
بان عبد الله نزل في البصرة في بني باهلة ، عند موالي عقيل ابن
ابي طالب وادعى انه من سلالة عقيل . وينسب ابو العلاء ايضا
عبد الله الى باهلة .

والشواهد هنا متضاربة بحيث يشق علينا ان نتوصل بها الى
حكم بات ، ويبدو عليها شيء من الخلط والاضطراب . ولكننا
نستطيع ان نستنتج - حتى تظهر بينات اخرى - ان نسبته الى سلالة
عقيل ربما لم تحدث وذلك لعدم ورود أي ذكر لعقيل فيما لدينا من
اشارات درزية واسماعيلية عن ميمون .

(١) الاتعاظ ٢١ - افتتاح الدعوة ٢٢ - بلوشيه ٦٩ - دو ساسي :
1, Intro., 450 .

(٢) دو ساسي : 1, Intro., 197 .

(٣) انظر بحثا عن عقيل وذريته في كتاب المعارف لابن قتيبة ، طبعة
القاهرة سنة ١٩٢٥ : ص ٨٨ .

(٤) دو ساسي : 1, Intro., 445 .

والضرب الآخر من التناقض الهام هو ما بين رواية الذهبي
 وأبي العلاء من جهة وروايات المصادر الاخرى من جهة ثانية .
 فالاولان يذكران عبد الله محدثا شيعيا موثوقا به . والمصادر
 الاخرى تجعله هو وعائلته مارقين ديسانين ثنويين . الخ .
 وتذكر ان اياه ميمونا قد الف كتابا في نصرة الزندقة .
 وسنرى ان رواية الذهبي وأبي العلاء من اختلاق المصادر الشيعية .

وأخر هذه المتناقضات - وقد تكون أهمها - هو التناقض في
 السنين . فبعض مصادرنا تجعل ميمونا وابنه معاصرين لجعفر
 واسماعيل وأبي الخطاب ، وبعضها تقول ان عبد الله عاش في
 أواخر القرن الثالث ، وبعضها كالفهرست ورشيد الدين يأخذ بكلتا
 الروايتين دون أن ينتبه أصحابها الى استحالة الاحتمال .

أما آراء دو خويه وكازانوف وغيرهما فقد اشرنا اليها .
 وسنرى عند البحث في المصادر الشيعية والاسماعيلية وتمحيصها
 ان لاشك في رأي أن عبد الله وأياه عاشا في القرن الثاني وأن كل
 ما ذكر من أعمال حدثت في القرن الثالث يجب ان تنسب كما لاحظ
 محمد خان القزويني ، الى ذرية ميمون القداح المتأخرين .

أ - مصادر الشيعة الاثني عشرية :

ان اول من كشف عن أهمية كتابات الشيعة الاثني عشرية من
 حيث أنها مصدر لتاريخ الاسماعيلية ولا سيما حياة عبد الله ابن
 ميمون هو ماسينيون (١) . وقد استفاد منها كازانوف (٢) الذي

(١) مقالة عن القرامطة في دائرة المعارف الاسلامية ESquisse . الخ .
 (٢) Un Date Astronomique. G. A., 1915.

حد ما • وأول بحث شامل لها نجده في تعليقات محمد خان
للقرظيني (١ -) على المجلد الثالث من كتاب جويني •

تكاد كتب تراجم الرجال والمعاجم الاثني عشرية تجمع على
أن عبد الله بن ميمون القداح كان محدثا • وتتفق كلها على أنه
كان معاصرا لجعفر الصادق وأنه من أصحابه • وفيما يلي قليل من
أقدم هذه الاشارات •

يروى الكشي (٢) وقد عاش في القرن الرابع الهجري
« العاشر الميلادي » حديثا عن عبد الله بن ميمون القداح المكي (٣)
أن محمد الباقر قال له : « يا ابن ميمون كم انتم بمكة ؟ » فقال :
« نحن أربعة » فقال محمد : « انكم نور في ظلمات الارض » •
ويذكر الاستريادي (٤) والخلبي (٥) هذا الحديث نفسه الا ان
الخلبي يشك فيه لانه جاء على لسان شخص يريد صالحه •

وعند النجاشي (٦) (٢٧٢ الى ٤٥٠ هـ - ٩٨٢ الى ١٠٥٨ م) :
عبد الله بن ميمون بن الاسود القداح أحد موالى بني مخزوم وكان
يشتهر بالبصريات ، وكان أبوه راوية باقر وجعفر الصادق ، وكان
هو نفسه راوية جعفر الصادق أيضا فكان ثقة ، وألف كتباً عدة ذكر

(١) ٢٢/٢ وما بعدها •

(٢) ٢٢٧ ، ١٦٠ - جويني ٢١٥ - وفي الكشي حديث آخر يتهم عبد الله
(بالتزويد) ، وهي كلمة غير واضحة المعنى ولعلها تشير الى الزينية •

الخلبي يطعن في هذا الحديث •

(٣) ويسميه الذهبي بالملكي أيضا •

(٤) منهاج المقال ٢١٢ •

(٥) ١٥٢ - جويني ٢١٦ •

(٦) ١٤٨ - جويني ٢١٥ - واقتبس ملاحظات النجاشي واكدها : الحلي

(اعلام ٥٢ وجويني ٢١٢) واستريادي (منهاج المقال ٢١٢) •

النجاشي اثنين منها مما مبعث النبي وكتاب صفة الجنة -
والنار (١) .

ويشير الطوسي (٢) المتوفي سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م الى كون
عبد الله مؤلفا ومحدثا ، ويعدد جماعة روت عنه الحديث .

ويذكر الحلي (٣) (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ - ١٢٥٠ - ١٣٢٥ م)
رواية جعفر ويشير الى ان ابيه كان رواية لمحمد الباقر ويروي بأن
رجلا اسمه جعفر بن محمد بن عبد الله كان رواية لعبد الله ابن
ميمون .

ويجمله ابن شهر اشوب (٤) المتوفي سنة (٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م)
ايضا من اصحاب جعفر ومن المؤلفين ويلقبه بالملكي .

وكان محمد بن يعقوب الكليني المتوفي سنة (٣٢٩ هـ - ٩٤٠ م
واحد من كثيرين ممن روى عن عبد الله بن ميمون القداح من
الشيعة المجتهدين (٥) .

من هذا كله يتضح لنا ان كثيرا من احكام المصادر السنية
خاطئة . والحقيقتان التاليتان تتجليان ماثلتين للمعان بحيث لا
مجال للنزاع فيهما وهما :

١ - ان ميمونا وابنه عبد الله كانا معاصرين لجعفر الصادق
اي انهما عاشا في القرن الثاني وليس في القرن الثالث .

(١) انظر ايفانوف : Guide, 29

(٢) ١٩٧ - جويني ٢١٦ .

(٣) جويني ٢١٦ - الطوسي ١٩٧ .

(٤) ٦٥ .

(٥) جويني ٢١٩ . واذا اردت الاطلاع على اشارات شيعية اخرى فانظر :

جويني ٢٤١ .

٢ - انهما كانا في مستهل حياتهما - على الاقل - محدثين
شيعيين موثقين معروفين ولم يكونا ديصانيين ثنويين أو ما شابه
ذلك .

ويبدو ايضا ان المصادر الشيعية متفقة على نسبة ميمون أو
ابنه الى مكة . وهذا يعارض اجماع المصادر السنية على انهما من
اصل اهوازي ، وليس من الضروري أن تكون الروايتان متناقضتين
حتما اذا عرفنا أن النسبة المحلية في العربية فيها شيء من التساهل
وعدم التقيد .

وقد رأى بعضهم (١) أن عبد الله ميمون القداح الوارد ذكره
في كتب الشيعة الاثني عشرية كان ، طوال عمره ، شيعيا اثني
عشريا متحمسا ولا علاقة له بالاسماعيلية . وإذا كان هناك رجل
اسماعيلي بهذا الاسم فانما هو شخص آخر غيره . والارجح أن
القداح الاسماعيلي شخصية خيالية مفترضة اختلقها الاسماعيليون
انفسهم أو مناوؤهم الكارهون وأن ما دفع الاسماعيليين على هذا
الاختلاق هي رغبتهم في أن يسبقوا على حركتهم الاحترام والاجلال
باقران شخص معروف من اصحاب الائمة بها .

ولكن لتأكيد الكتب الاسماعيلية الكبيرة على نشاط ميمون
القداح كأحد الاسماعيلية لا يترك لهذا الافتراض مجالا ولا يسمح
للمشك أن يتطرق الى اسماعيليته . كما أن الإشارة الى عبد الله
بن ميمون بأنه محدث اثنا عشري لا تمنع نسبته الى الاسماعيلية
اخيرا . فان ابا العلاء المعري يقول بأن الشيعة رويوا عنه ووثقوا به
قبل أن يرتد . كما أن ابا الخطاب المارق السني السمعة قد وضع
في هذا الميزان ايضا .

(١) محمد خان القزويني في جويني ٢١٠ وما بعدها .

ويمكننا ان نختم فحسنا للمصادر الشيعية بموجز ما جاء عن عبد الله بن ميمون في كتاب (تبصرة العوام) (١) لمؤلف شيعي مجهول ، وفيه ان عبد الله كان من اصحاب جعفر الصادق واسماعيل ولما توفي جعفر اغرى حفيده محمد بن اسماعيل وذهب معه الى مصر حيث مات محمد وخلف جارية حبلى فقتلها عبد الله وجعل بدلها جارية له ولدت منه طفلا نشأ على مبادئه ولقنه عقائده ثم احتال على الناس وجعله ولد محمد بن اسماعيل فصدقوه فكان اماما .

ونستطيع ان نرفض هذه القصة باعتبارها تفسيراً آخر مغلوفاً معادياً للصلوات الحقيقية بين القداحين ومن تبنواهم ولكنها على كل حال ذات أهمية بما تسبغه على عبد الله بن ميمون القداح الاسماعيلي من صبغة شيعية .

ب - الارشادات الاسماعيلية :

كل محاولة لدراسة مفصلة لحياة عبد الله بن ميمون القداح وابنه في المصادر الاسماعيلية ضرب من المستحيل الى ان يتيسر لنا قدر اعظم من الكتابات الاسماعيلية، خصوصاً وأن قصتهما اختصت بها الروايات ذات الصبغة التأويلية ، ولم تتعرض لها الكتب التاريخية الاسماعيلية ذات الطبيعة الظاهرية .

وقد شاهدنا الاشارات الهامة التي تجعل ميمون القداح قيماً ومستودعاً لمحمد بن اسماعيل في كتابات الدروز وفي الكتاب الاسماعيلي (غاية الموالي) . ولم يبق علينا الا ان نضيف قليلاً من التفصيلات مستمدة من مصادر أخرى .

في كتب الدروز ، كان محمد بن اسماعيل الناطق السابع
وكان ميمون القداح (ويدعى تاويلي) أساسه (١) . وقد نكر فيها
أن عبد الله هو ابن ميمون وأن ميمونا هو جد سعيد - مهدي .

ويذكر دستور النجمين (٢) ، وهو كتاب اسماعيلي قديم ،
ميمونا على أنه من اصحاب باقر ، وعبد الله من اصحاب جعفر
الصديق .

ويقول (كلام أي بير) و (حفت باب أبي اسحق) (٣) بأن
عبد الله بن ميمون كان حجة في زمن الستر ، أي في المدة التي
تلت وفاة جعفر الصادق .

ويجعله زهر المعاني (٤) من ابناء سلمان الفارسي ، ولعله
يقصد ذلك من الناحية الروحية .

ويذكر الفلك الدوار (٥) - أخيرا - شيئا مختصرا عن
عبد الله ، وهو كتاب اسماعيلي حديث اعتمد على المصادر السنية
اعتمادا ظاهرا .

ونستطيع الآن أن نكون من هذه المصادر المختلفة قصة ميمون
القداح وابنه عبد الله كما يلي :

كان ميمون وابنه شيعيين محترمين من اصحاب جعفر
الصديق واتصل ميمون في زمن ما بالشيعية الغلاة ، اتباع أبي
الخطاب واسماعيل بن جعفر ، ولعب دورا هاما في تكوين عقائد

(١) دو سامي : 1, Intro, 48 - 5 .

(٢) دي خويه ٢٠٦ .

(٣) كلام بير ٦٨ .

(٤) ايفانوف : Guide, 63 كلام بين : الترجمة ٦٢ حاشية .

(٥) ١٣٧ - ١٣٨ .

الفرقة وتنظيم دعايتها • ولما مات أبو الخطاب تزعم الامر واصبح
قيما على محمد بن اسماعيل ومؤديه فلقنه مذهب الباطن • وقد
نشأ ابنه عبد الله كما نشأ محمدا فخلف ابيه في الدعوة الى
الامام • وتستطيع ان نجمل وفاة عبد الله في بداية القرن الثالث
الهجري • اما تفاصيل نشاطهما وحركاتهما فعلى ان نطل معتمدين
على رواية ابن رزام حتى تظهر معلومات اوفر •

ج - الاسطورة اليهودية :

قبل ان نفرغ من هذا الموضوع يحسن بنا ان نتطرق الى وجه
آخر ذي صلة وعلاقة به • وهو محاولة جماعة من المؤرخين السنة
ان يجعلوا للخلفاء الفاطميين اصلا يهوديا •

وتظهر هذه « الاسطورة اليهودية » كما يدعوها ليسي او
ليري (١) في أربعة اشكال •

١ - اقدم اشارة الى هذه النظرية وردت في رسالة محمد ابن
مالك (٢) وقد نسخ الجندي (٣) موجزها • وفيها ان عبد الله ابن
ميمون كان يهوديا من ولد الشلمع من سلمية • وكان من احبار
اليهود واهل الفلسفة الذين عرفوا جميع الاديان وكان صائغا خدم
اسماعيل بن جعفر الصادق ، وكان حريصا على هدم الشريعة
المحمدية فلم ير وجها يدخل به على الناس حتى يردمهم عن الاسلام
الطف من دعوته الى اهل بيت رسول الله فتظاهر بالتشيع وانشأ

(١) الخلافة الفاطمية ٢٢ - ٣٤ - انظر ايضا بيكر :

Beitrag 1 - 5 , 8

(٢) ١٧ وما بعدها •

(٣) كى ١٤٠ ، الترجمة ١٩٢ •

فأموسا من افكار وعقائد الحادية . وهو البجد الحقيقي للخلفاء
الفاطميين . وعلى هذا فان نسبهم ينتهي الى اصل يهودي .

٢ - والرواية الثانية في مصادر عديدة وخلصتها أن
الحسين ، أحد ولد القداح ، لما اقام بسلامية تزوج من امرأة يهودي
حداد ولم يكن له ولد فتنبى ابنا من زوجها اليهودي وكان اسمه
سعيدا ورث ادعاءاته للامامة ثم أصبح الخليفة الفاطمي الاول .
وهذه القصة يرويها ابن شداد (١) وتنسب أيضا الى القاضي عبد
الجبار البصري (٢) .

٣ - كان جد سعيد ابن أمة لجعفر الصادق ، أحبها يهودي
فحملت به منه (٣) .

٤ - قتل سعيد في سجن في سجلماصة فأخفى أبو عبد الله
الداعي هذه الحقيقة لئلا تضيع جهوده ونصب مكانه عبدا يهوديا
ونادى به خليفة (٤) .

لقد لاحظ غولدزيهر (٥) ميلا عاما للنسابين المسلمين الى
أن ينسبوا أصلا يهوديا لاولئك الذين يكرهونهم لسبب ما . وعلى
هذا فلا يصح أن يكون لهذه الافتراضات في الروايات الأربع
اساس تاريخي حقيقي وانما هي محاولة للحط من العائلة .
ولم تكن لتفاصيلها أهمية ولكن الشيء الجوهرى فيها هو
اتهام الفاطميين بانهم من اليهود .
ويسهل علينا فهم وجهة النظر هذه اذا عرفنا مكانة اليهود

(١) المقرئى : كاترمير ١١٥ ، فانيان ٥٦ - دو ساسى 452, Intro, 1,

- ابن الاثير ٢٧/٨ - ٢٨ - أبو القدا ٢/٣٠٩ وما بعدها .

(٢) النجوم الزاهرة ٢/٤٤٤ و٨٦ - السيوطى : تاريخ الخلفاء ٣ .

(٣) البيان المغرب ١/١٥٨ .

(٤) المقرئى : كاترمير ١٠٨ - قارن ابن خلكان ١/٣٤٢ ، الترجمة

٢/٧٧ ، اذ فيه القصة نفسها ولكنه لا يذكر ان العبد يهودي .

(٥) Muh, Studies , 1, 204 .

غير المعتادة التي تمتعوا بها في عهد الخلافة الفاطمية ، فقد التفت حول المعز في افريقية جماعة منهم يؤيدون ادعاءاته ويناصرونه في اعماله (١) . واعمال اليهود امثال ابي الفرج يعقوب بن كلص وزير المعز والعزيز والاخوين ابني سهل التستري ، وصدقة الفلاحي واخرين - اثناء حكم المستنصر المديد - مشهورة معروفة . وقد سبب هؤلاء موجة من الكراهية والتعصب على اليهود ظهرت باشكال مختلفة (٢) . وليس من المصادفة ان يكون ابن مالك ، وهو اول من اختلق النسب اليهودي للفاطميين قد عاش في ايام المستنصر حين بلغ النفوذ اليهودي اقصاه قال ابن مالك ، والدليل على انهم من ولد اليهود استعمالهم وهم مازالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين واموالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم اليهم تدير السياسة وذلك مشهور يشهد به كل احد (٣) .

اما فيما يتعلق باشخاص ونشاط الدعاة المختلفين الذين لهم علاقة بالدعوة الاسماعيلية فالمعروف عنهم قليل جدا . واول ما يتبادر الى الذهن من هؤلاء هم عبدان (٤) وحمدان قرمط واحمد الكيال . وقد عرفنا شيئا يسيرا جدا عن هؤلاء بفضل المعلومات الجديدة التي عثر عليها . ولسنا نملك ما يستحق الذكر لنضيفه الى دراسات دو خويه وماسينيون لهم ، ولكن بين الدعاة واحدا حامت حوله الشكوك والالهام فمن المستحسن ان نقف عنده وقفة قصيرة للدور الهام الذي ينسب اليه كثير من كتب السنة - ذلك هو عبدان .

.....
Fishel, Jews 1., 51 (١)

المصدر نفسه ٨٨ (٢)

ص ١٩ (٣)

(٤) يزعم صديق لي اسماعيلي ان لديه كتباً عدة من تأليف عبدان . انظر عن عبدان في الرواية الاسماعيلية ايفانوف : Guide, 31

٥ - دندان

لقد لاحظنا ونحن نبحث في عبد الله بن ميمون ، بعض ملاحظات اهل السنة الرئيسية عن دندان . وفيما يلي مجمل كلامهم عنه (١) .

كان محمد بن الحسين الملقب بدندان (٢) رجلا ثريا عاش بنواحي كرج (٣) واصفهان ، وكان من كتاب احمد بن عبد العزيز ابي دلف المتوفى سنة ٢٨٠ هـ = ٨٩٣ م (٤) . وكان هذا الرجل فارسيا شعوبيا شديد الكراهية للعرب ، فسمع به عبد الله ابن ميمون واجتنبه الى حركته المناوئة للعرب ، فظاھر عليه وأيده واعطاه مليوني دينار انفقت على الدعوة لهذا المذهب ، وجعله وريثا له . ويقول البغدادي ان دندان اجتمع بعبد الله بن ميمون في سجن في العراق واسسا فيه مذهب الباطنية ثم نشره بعد خلاصهما منه ، وابتدأ دندان بالدعوة من جهة الجبل فدخل في دينه كثير من الاكراد .

(١) الفهرست ١٨٨ - ابن الاثير ، المجلد الثامن - المقرئ : كاترمير

١٣٢ - بوساسي : Intro., 442, 1 - البغدادي ٢٦٦ ، الترجمة

١٠٨ - مختصر الفرق ١٧٠ - ابو المعالي ، طبعة اقبال ، ٣٦ -

(Masse, 57 Shefer, 158) - عبد الجبار ، ورقة ١٣٧ ف .

(٢) في بعض الاحيان يسمى زيدان أو نيدان أو بندار .

(٣) في بعض النصوص (كرج) .

(٤) الفهرست فقط .

وتذكر المصادر أسماء كثيرة مختلفة لجند دندان ، فعند المقرئزي (جهان بختار) وعند النويري نو ساسي (حيان النجار) وعند عبد الجبار (چهار بختان) ، وقد لا يكون من الرأي الجزاف اذا قلنا بأن هذه الاسماء تصحيفات لاسم فارسي غير مألوف عند المؤلفين العرب وأن أصله (چهار لختان) المذكور في أبي المعالي وهو ثالث الثلاثة : دندان وعبد الله بن ميمون ، الذين أسسوا الفرقة الباطنية . وكان چهار لختان ، على ما يقول أبو المعالي ، هو الرجل الذي أهداه بالمال .

ومما يلاحظ في هذه الروايات المختلفة أنها تنطوي على شيء من التضارب الأكيد ، لأنه اذا كان دندان كاتباً لأحمد بن عبد العزيز المتوفى سنة ٢٨٠ هـ = ٨٩٣ م فإنه لا يمكن أن يكون صاحباً لعبد الله بن ميمون . ويزيد هذا التضارب ارباكاً عبارة أبي المعالي التي تجعل دندان وچهارلختان متعاصرين .

ولحسن الحظ أن بين أيدينا شذرات عن دندان في كتب الشيعة الاثني عشرية توضح بعض هذه الصعوبات . فقد جاء فيها (١) بأن دندان أبو جعفر أحمد بن الحسين بن سعيد بن حماد ابن سعيد بن مهران ، كان مولى علي بن الحسين وكان من الاهواز روى الحديث عن شيوخ أبيه . وكان غالباً متطرفاً في الهرطقة مطعوناً في روايته ، ألف كتب عدة منها كتاب الاحتجاج وكتاب الانبياء وكتاب المثالب وكتاب المختصر في الدعوات . وقد مات في قم ودفن فيها . أما والده فكان رواية موثقاً حدث عن علي الرضا المتوفى سنة ٢٠٢ هـ ٨١٧ م . وعن محمد الجواد المتوفى سنة ٢٢٠ هـ

(١) الطوسي ٢٦ ، ١٠٤ - ابن شهر اشوب ١ ، ٣٥ - منهاج المقال ٣٤ ، ١١٣ - الذريعة ٢٨١ .

٨٣٥ م • وعن الهادي ٢٥٤ - ٨٦٨ • وكان أصله من الكوفة وأقام في الأهواز زمنا ولده فيها أحمد ، ثم فارقها إلى قم وتوفي فيها وقد ألف ثلاثين كتابا في الدين (١) •

فبالنظر إلى شواهد الشيعة الاثني عشرية هذه يجب علينا أن نرفض تلك العبارات السنية المتطرفة في دندان ، والمحاولة التي تريد أن تجعله معاصرا لعبد الله ، فهو كما يرى ماسينيون (٢) من أتباع عبد الله ومن الموالين لحركته وليس من أصحابه في حياته • وقد توفي حوالي منتصف القرن الثالث الهجري •

ومن الغريب أنك لا تجد لاسمه أو لمؤلفاته ذكرا عند الاسماعيليين •

وهناك مسألتان يحسن بنا أن نشير إليهما بإيجاز ، أولاهما إشارة الخويري إلى زكرويه بالدنداني ، أي من نسل دندان والثانية حشر غالبية مصادرنا السنية والاسماعيلية بين أجداد الداعية اليماني الشهير ابن حوشب شخصا اسمه زادن أو دادان الذي تحقق لدى دو ساسي أنه دندان ذاته •

(١) قائمتها في الطوسي ١٠٤ - ١٠٥ •
(٢) Esquisse , 3

٦ - الائمة المستورون

والآن نستطيع ان نعود الى الائمة المستورين انفسهم . لقد ناقشنا في الفصل السابق الشيء القليل المعروف عن اسماعيل وعينيا ببعض ما روي عن محمد بن اسماعيل في الصفحات الاولى من هذا الفصل ، ويمكننا الآن ان نضيف له شيئا قليلا وجدناه في مصادر اخرى .

يقول رشيد الطوسي (١) بانه لما توفي اسماعيل هجر محمد العراق ونزل الري ومنها ذهب الى دماوند وهي قرية في (٩) . سلا . وان مدينة محمد اباد في الري سميت باسمه . وكان له ابناء عدة في السمرقند اقاموا في خراسان وتخوم قندهار في السند حيث هاجم دعائهم المدن واستمالوا اناسا من اهلها الى فكرتهم

ويؤيد دستور النجمين (٢) بعض ما جاء في هذه الرواية فيذكر بان محمدا وجد ملجا في الهند ، ويعمد اسماء اولاده . وقد لاحظنا ما جاء في غاية المواليد من وصاية ميمون وتبني محمد لعبد الله بن ميمون .

(١) Levi, 516 and 522

(٢) بروخويه ٢٠٢ .

ما زالت سلسلة الائمة بين محمد بن اسماعيل وسعيد - مهدي مشكلة من أعقد المشاكل في التاريخ الاسلامي ، فالمؤرخون السفة يروون لها روايات عدة مختلفة ، والاسماعيليون وغيرهم ممن يعترف بحق الفاطميين الشرعي لا يبدو أنهم متفقون فيما بينهم عليها . وقد بحث كثير من القدماء هذه المشكلة وناقشها نقاشا دقيقا ، وحققها ذو خويه وبلوشيه من المحدثين . ولا أريد أن ادخل في تحقيق مفصل للانساب المختلفة الروية . والظاهر أننا نستطيع أن نتلمس مفتاح المشكلة في عقائد التبني الروحاني والامامة المستودعة التي بحثناها في أول فصلنا هذا .

ومن الممكن أن نرسم على ضوء هذه العقائد والقوائم التي رواها لنا المؤرخون شجرتين للائمة المستورين لا شجرة واحدة : اولاهما للعلويين أو المستقرين . وهم ابناء علي روحانيا وجسمانيا ، وثانيتها للقداحين المستودعين ، وهم العلويون بالتبني الروحاني فقط . ولاشك أن الاضطراب الملحوظ في كتب أنصار الفاطميين وأعدائهم إنما نشأ من الخلط بين هاتين الشجرتين .

وفيما يلي الشجرتان النسبيتان ، نرسمهما معتمدين على كتب الدروز ، وعلى غاية المواليد .

١ - العلويون ، أو المستقرين :

محمد بن اسماعيل

أحمد

الحسين

علي (المعل)

محمد (القائم) (١)

(١) غاية المواليد .

٢ - القдахون او المستودعون :

ميمون
عبد الله
محمد
الحسين
أحمد
سعيد (١)

ومن هاتين الشجرتين نستطيع أن نفهم شجرة السماوات
السبع الواردة في الرسالة الدرزية تقسيم العلوم (٢) . وهي
كما يلي :

- ١ - اسماعيل
- ٢ - محمد
- ٣ - أحمد
- ٤ - عبد الله
- ٥ - محمد
- ٦ - الحسين
- ٧ - أحمد (والد سعيد) (٣)

ويعتبر هؤلاء - عدا الثلاثة الاول - (من ولد القداح) فهم
ائمة مستودعون ، أما سائرهم فعليون مستقرون ، وهم أسلاف
الخلفاء الفاطميين من علي العل . وقد سببت الرابطة الروحية بين

-
- (١) دو سامي ٨٥/١ .
 - (٢) مخطوط رقم ١٤١٥ ورقة ١١٧ وما بعدها دو سامي ٥٧٨/٢ .
 - (٣) « يسمى اجداد سعيد بالخلفاء المستودعين » وقد اسماء دو سامي فهم
هذه العبارة .

هاتين الشجرتين ارتباك الكتاب المتأخرين وخالطهم بينهما فكانت اختلافات واسعة في الانساب . وقد تجلت الحقيقة لمؤلف دستور النجمين فاقصر على ذكر ثلاثة أئمة مستورين بعد محمد ابن اسماعيل ، وهم الرضي والوفي والتقّي . وليست هذه الاسماء أعلاما بل هي القاب يقرنها الاسماعيليون بأحمد والحسين وعلي الواردين في شجرتنا المذكورة سابقا (١) .

٧ - الدعوة

أصبح تطور الدعوة وانتشارها والثورات المسلحة التي قام بها انصارها في مختلف انحاء الخلافة شيئا معروفا عندنا . وقد اشبعها بحثا ، عدا الدعوة في اليمن وشمال افريقية ، دو خويسه وآخرون غيره . ولم يبق علينا الا ان نضيف موجزين مسألة او مسألتين أخريين ، وأن نشير الى الصلات التي كانت بين الحركات الاقليمية المختلفة والتنظيم المركزي .

١ - حركة الهلال الخصيب :

نكاد نجزم بأن حركة الهلال الخصيبما بين سنتي ٢٨٩ و ٢٩٤ هـ (٩٠١ - ٩٠٦ م) وما سبقها من سني التهيؤ والاستعداد انما هي جزء من الدعوة الاسماعيلية يصرفها الأمام المستور وتعمل في سبيله . فالطبري (١) يقول - وان لم يدرك مغزى عبارته - بأن زكروية (٢) وأبناءه زعموا بأنهم من ولد محمد بن اسماعيل وانهم مهديون وأئمة ، ويذكر بأن يحيى بن زكروية ادعى بأن له أتباعا في افريقية . ويروي ثابت (٣) الخطبة التي القيت في حمص بعد أن

(١) ٢٢١٨ . ويؤكدما ثابت .

(٢) الطبري ٢٢١٨ ، ويذكر ايضا في صفحة ٢٢١٩ و ٢٢٥٧ بأن قرامطة

الشام يسمون أنفسهم الفاطميين .

(٣) ١٤ .

احتلها يحيى الشيخ سنة ٢٩٠٠ هـ . وما هي ذي بحروفها (اللهم)
اهدنا بالخليفة الوارث المنتظر المهدي صاحب الوقت امير المؤمنين
المهدي اللهم املا الارض به عدلا وقسطا ودمر اعداءه - اللهم
دمر اعداءه (١) .

وطابع الاسماعيلية ظاهر على هذه العبارة بوضوح . ولما
كان من المعروف ان الائمة المستورين كانوا مقيمين في سلمية في
اثناء هذه الفترة فمن المستبعد جدا ان تحدث مثل هذه الحركة
دون اشتراكهم فيها . وعلى هذا يمكن ان نتقبل رواية ابن رزام
ومن تابعه بأن القداحين أرسلوا الدعاء ، أول ما أرسلوهم الى
المراق وسوريا . اما زكزية وابناؤه ، فاما أن يكونوا قداحين
او أن الائمة - وهو الأرجح - قد خولوا لهم التسمي بالامامة
ليجسوا النبض ويميطوا العقبات الاولى (٢) .

٢ - الحركة اليمانية والمغربية :

ما زال تاريخ الدعوة في افريقية في حاجة الى التسجيل ،
وقد حظيت هذه الدعوة بوثائق ومستندات لم يحظ بها غيرها بفضل
نتائجها الباهرة وطول حياة الفرقة الاسماعيلية في اليمن . ولا
تزال مصادر غنية سنية وزيدية واسماعيلية تنتظر من يؤرخها ،
وسنقصر جهدنا الآن على تبيان ان الدعوة في اليمن كانت منذ
بدايتها حتى نهايتها على اتصال وثيق بالائمة انفسهم ولم تنشق
عن الفرقة الاسماعيلية الرئيسية في حال من الاحوال . والمصادر

(١) في الاصل (اعداؤه) .

(٢) لاحظ مثال الداعي الترمذي - الهمداني في مجلة الاسلام ٢٠/٢٩٢ - ٣

الاسماعيلية تحدثنا باسهاب عن ارسال الامام نفسه الداعيين علي بن الفضل وابن حوشب اليها وهناك كثير من التفاصيل والاساطير التي تصف لنا اجتماعهما التاريخي بالامام ونشاطهما في البلاد التي أنفذوا اليها (١) ، واني لآمل أن أعود الى هذا والى تسرب الدعوة من اليمن الى افريقية في فرصة أخرى .

أما الدعوة في البحرين فتحتاج الى فصل خاص .

(١) المصدر الاسماعيلي الرئيسي هو افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ايفانوف : Guide)

٦ - قرامطة البحرين

يبدو من بحوث غالبية مصادرنا ان قرامطة البحرين يكونون حركة مستقلة تختلف عن طوائف الدعوة الاسماعيلية الاخرى من وجوه عدة ، فقد كان لهم رؤساء محليون وتقاليدهم محلية تميزهم ، وتاريخ مستقل . ثم اصبحت لهم في العهود المتأخرة تنظيمات محلية خاصة .

وتاريخ هذه الجماعة الظاهري معروف الى حد ما وليس لدينا الا شيء قليل نستطيع ان نضيفه الى دراسات دي خويه في هذا الموضوع . وغايتنا في هذا المقام ان نحقق في علاقة هذه الجماعة بالدعوة الفاطمية الاسماعيلية المركزية . فابن رزام ومن يؤكد مع من تبعه على وحدة الحركتين ، والمؤرخون المسلمون المعاصرون كالطبري وعريب ثابت وآخرين غيرهم لا يقفون موقفا جليا من هذا الموضوع . اما قراثة الاسماعيلية الحديث فانه يفكر كل اتصال بينهم وبين القرامطة انكارا شديدا (١) .

ظل اسم عبد الله واسم ابيه ميمون القداح مقترنين بالقرامطة زمنا طويلا . وافترض انه اذا اثبتت الصلة بين هذين الرجلين وبين الاسماعيلية قلم الدليل على وحدة الحركتين .

(١) ايفانوف. . Guide ص ١ ، ملاحظة ١ ، وص ١٥ ملاحظة ١ .

وقد قبل ايفانوف (١) الافتراض الاول وهو كون الرجلين من القرامطة ورفض ، في سياق نكرانه وحدة الحركتين ، كل اتصال بين العائلة القداحية والاسماعيليين . اما نحن فقد لا حظنا ان ميمون القداح وابنه كانا - على العكس - من الرؤساء البارزين للدعوة الاسماعيلية الرئيسية ، ولم يبق ما يحتاج الى برهان الا علاقتهما بقرامطة البحرين لان جميع من ارخ للقرامطة من قدماء المؤرخين ، عدا ابن رزام ، لا يذكرون اسميهما ابدا (٢) .

اذن فالمسألة يجب ان تطرح على وجه آخر وان تبحث على ضوء افتراضات جديدة ، اذ ليس لنا ان نبث كما فعل دو خويه وماسينيون وايفانوف : اكانت لميمون القداح القرمطي علاقة بالاسماعيلية ام لم تكن ؟ فالثابت ان ميمون القداح كان احد مؤسسي الاسماعيلية . بل يجب علينا ان نبث اكان للقرامطة علاقة ما بالحركة الاسماعيلية التي كان ميمون القداح احد اقطابها ام لم تكن .

الاصول :

ان اول ما يجب ان نبدا به في صدد التحقيق في العلاقة بين الحركتين هو اصول القرامطة - كيف ابتدأت دعوتهم في البحرين؟ ومن موجدتها ؟ وعلى اي العقائد قامت ؟

وبين يدينا في هذا روايات كثيرة متناقضة ، فلنذكر اهمها فيما يلي :

(١) Gulde, 15

(٢) انظر الطبري ، السعودي ، عريب ، حمزة ، ثابت ، مسكويه ... الخ في مواضع متفرقة .

(١) فعند ابن حوقل (١) : انفذ حمدان قرمط ابا سعيد السبي
البحرين وامره بالدعوة بعد ان وقف على اخلاصه وحسن سياسته
فكان موجد الحركة هناك . وكانت هذه الحركة نفسها حركة زكروية
في العراق التي اوكلها اليه عبدان ، صهر حمدان قرمط وصاحبه
الاقرب . ويمكننا ان نضيف الى هذه الرواية التي اعتمد عليها
دو خويه اشارة وردت في الطبعة الحديثة تذكر بأن ابا زكريا
الطمامي كان احد اقطاب الدعوة في (٢) البحرين .

(٢) وعند ثابتين سفان : كان اول داع في البحرين يحيى بن
المهدي رسول الامام ، وكان ابو سعيد من اهل البحرين ، احد من
صبا اليه .

(٣) وعند ابن رزام (٣) ارسل ابو سعيد كداع الى البحرين
ولكن سبقه اليها ابا زكريا الصمامي (او الطمامي) الذي انفذه
اليها عبدان . وكلف ابو سعيد بقتل ابي زكريا .

(٤) وعند عبد الجبار (٤) ارسل الامام الى البحرين داعيا
(لم يسمه) فاتبعه قوم من اهلها منهم ابو سعيد ، فاضطر ابو
سعيد ان يفر هو وصاحب له يدعى يحيى بن علي (الداعي ؟)
ولكنهما حشدا قوة كبيرة وعادا منتصرين . وكان ممن انضم الى
ابي سعيد حمدان وعبدان ، وكان معه في البحرين الداعي يحيى
الطمامي وقد قتله اخيرا وتولى الزعامة بنفسه وادعى انه ممثّل

(١) ٢١٠ ، الطبعة الجديدة ٢٧ .

(٢) المخطوطة ص ٦ وما بعدها . وذكرها ابن الاثير ٢٤٠/٧ وما بعدها .
ومنه استفاد دي ساسي (1 Intro., 211 ff.) ودي خويه ص ٢٤ .

(٣) ساسي 1, Intro., 214

(٤) ١٤٤ الصفحة الاولى .

الامام المهدي الذي وعد بظهوره عام ٢٠٠ هـ = ٩١٢ م . وهو
الامام محمد بن عبد الله بن الحنفية .

(٥) وعند الفويختي (١) : ان القرامطة - وسموا كذلك نسبة
الى مؤسس نحلتهم - فرقة انفصلت من المباركية . وعلى هذا فهم
اسماعيليون منفصلون ، وهم يختلفون عن الاسماعيلية الخالصة
في جعلهم محمد بن اسماعيل هو المهدي والقائم والخالد ، وعلى
هذا فهم لا يقرون بمن خلفه من الائمة المستورين .

واظن اننا نستطيع بعد الذي جد من المعلومات في هذا
الشأن ، وهي الاشارة الى ابي زكريا الطمami في الطبعة الثانية
لكتاب ابن حوقل - وقد اغفلها دو خويه في الطبعة الأولى -
ومخطوطة ثابت التي ترجع برواية ابن الاثير الى القرن الرابع
الهجري (العاشر الميلادي) ، وبينه عبد الجبار الجديدة ، وأقول
اننا نستطيع بعد ظهور هذه المعلومات ان نرفض استنتاج دو خويه
وان نقرر ما يأتي :

(١) ان يحيى بن المهدي وابا زكريا الصمامي (او الطمami)
ويحيى الصمامي وربما يحيى بن علي ايضا كلهم شخص واحد ،
قد يكون اسمه الكامل ابا زكريا يحيى بن المهدي الطمami
(او الصمامي) .

(٢) ان هذا الشخص كان معاصرا لابي سعيد وربما كان
سلفه وليس هو زكريا الفارسي (٢) الذي ظهر في البحرين في
اثناء حكم ابي طاهر . والخلط بينهما انما هو عمل المؤرخين
المتأخرين .

(١) ٥١ وما بعدها . كذلك المجلسي ١٧٥/٩ . انظر الفصل الاول .
(٢) عند عبد الجبار . زكريا الاصفهانى الجوسي ، وعند ثابت :
الاصفهانى . انظر دو خويه ١٢٩ - ١٣٦ .

اما ان ابا سعيد قد انفذ الى البحرين من قطر آخر او انه من
اهلها فصبا الى القرامطة هناك ، فذلك ما لا نستطيع ان نجزم به
لقضارب الادلة . فلنتترك باب هذه المسألة مفتوحا حتى تظهر
مصادر اخرى نستعين بها .

والمسألة ذات الامة الكبرى والخطورة العظمى هي ما حكم
به عبد الجبار ، وهي ان الامام الذي قاتل من اجله قرامطة البحرين
الاولون كان من سلالة محمد بن الحنفية . فكانت هذه العبارة حجة
قوية لفرضية كازانوفا (١) في ان الفرقة القرمطية حنفية في الاصل
ثم صبات كلها الاسماعيلية . وهناك شاهد اخر يدعم هذا الافتراض
في كتاب قرمطي نقله الطبري (٢) وثابت (٣) وابن الاثير (٤)
واخرون فيه عقائد ذات صبغة حنفية ظاهرة ، اذ فيه ابتهاج
الى محمد بن الحنفية ومناداة بامام حنفي . وهذا الكتاب
لا يمكن ان يشير الى الدعوة في البحرين وذلك للدعوات
الاسماعيلية التي ينسبها الطبري نفسه الى قرامطة الهلال
الخصيب . ويعترض هذا رواية النوبختي وهو مؤلف واسع
الاطلاع في الفرق الشيعية اذ يقول بأن القرامطة كانوا على مذهب
المباركية ، ثم خالفهم فهم جماعة اسماعيلية منشقة .

ان تناقض البيانات يعود فيخلق معضلة اخرى مغلقة يصعب
علينا ان نجد لها حلا صحيحا . وان الكتب الاسماعيلية لا تعيننا
في هذا الشأن الا قليلا . ففي كتاب افتتاح الدعوة للقاضي

(١) La Doctrine Secrète : ٢ وما بعدها .

(٢) ٢١٢٨ - ٢١٢٩ .

(٣) ٤ - ٦ .

(٤) ٢١١/٧ وما بعدها ، وترجمتها في دو ساي

نعمان (١) -عبارة موجزة تذكر بأن منصور اليمن وجه داعيا من صنعاء الى البحرين . ثم لا يزيد عليها ، ومما يجدر نكره ان قرامطة البحرين لم يتخلوا زمنا ما عن الائمة العلويين او الاسماعيليين كما فعل قرامطة سوريا مثلا . ولم يكن لهم عند مؤرخي الاسماعيلية ذلك المقام الذي يتوقعه الانسان من فرقة في هذه الاهمية . وقد تكون لهذا الاغفال اسباب اخرى كما سنرى .

علينا ان نتمهل برهة ونحن غير واثقين من اصل قرامطة البحرين الاسماعيلي هو ام حنفي ؟ فكلتا روايتينا تتفقان على اعتبارهم فرقة منفصلة متميزة عن الدعوة الاسماعيلية الخالصة ولكن - لدينا اسسا قوية تدعو للاعتقاد بأن القرامطة قد دخلوا في القضية الفاطمية في عهد ما ، قد يكون حوالي بداية القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) . ونستطيع الآن أن نختبر الادلة التي تدعم هذا الامر بايجاز . وان نذكر بهذه المناسبة بأن الالتام المزجج - يساعدنا في تفسير غموض مصادرها في اصول الدعوة .

(١) ورقة ١٥ ، واقتبسها المقرئ ، انظر المقرئ : كاترمير ١٣١ ،
فاينان ٤٧ .

٢ - العلاقات مع الفاطميين

أ - التشابه :

ان اقدم مصدر يؤيد وحدة الفاطميين والقرامطة ، او التعاون بينهما على الاقل هو كتاب الصائبي ثابت بن سنان . وهو لا يكاد يتهم بالتحامل او بمحاولة الحط من الفاطميين بحشرهم مع الفرق الهرطقية المارقة كالقرامطة مثلا ، لانه لم يبدلهم عداوة ما فلم يظهر شكاً في الحق الشرعي لعبيد الله الذي يطلق عليه العلوي الفاطمي دائماً ، ولم يؤكد على وحدة الجماعتين تأكيداً مقصوداً . وبينته ضمنية غير مباشرة . فهي لذلك اكثر اقناعاً .

وأولى عباراته (١) ما يذكر من استنطاق الوزير علي بن عيسى رجلاً بغدادياً متهما بالخيانة ومكاتبة ابي طاهر القرمطي . أحضره وسأله فاعترف بأنه يؤمن بأن طاهر وفرقته على حق ، وقال : أنت وسيدك الخليفة كفار تأخذون ما ليس لكم ولا بد لله من حجة في أرضه ، وامامنا المهدي محمد بن فلان بن فلان بن محمد ابن اسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب . . . الخ .

وروى ابن الاثير (٢) هذه القصة نفسها تقريباً ، ورواها ابن

(١) ٤٣ .

(٢) ١٣٧/٨ .

مسكويه (١) باختلاف يسير ، ويبدو أن مسكويه قد اعتمد على غير مصدر ثابت بن سنان .

ويذكر ثابت (٢) في حوادث سنة (٣١٥ هـ = ٩٢٧ م) سعاية محمد بن خلف وزير ابن ابي الساج بسيدته واتهامه اياه بالقرمطية . وصيغة التهمة مهمة وهي « انه (ابن أبي الساج) قرمطي يعتقد امامه العلوي الذي بأفريقية » ، وهي اشارة واضحة الى عبيد الله (٣) وقد ذكر هذا الحادث ابن الاثير وابن مسكويه (٤) وعند الثاني أكثر تفصيلا « فكشف (ابن ابي الساج) له انه يتدين بأن لا طاعة عليه للمقتدر ، ولا لبني العباس على الناس طاعة . وان الامام المنتظر هو العلوي الذي بالقيروان ، والذي أبو طاهر القرمطي أحد اتباعه . وان ابن خلف واثق من ان رئيسه قرمطي خالص ، وان هذا هو السبب الذي جعله يتخذ الامام العلوي (عبيد الله) صديقا له ومؤتمنا لاسراره » . ثم ذكر أن أبا الساج قال أخيرا « وقد رد عليه (علي ابي طاهر) كتاب الامام في القيروان بأن لا يطاء بلدا أكون فيه » .

ويوجز ثابت (٥) في حوادث سنة (٣١٧ هـ) هجوم القرامط على مكة واقتلاع الحجر الاسود فلما بلغ ذلك أبا عبيد الله العلوي الفاطمي بأفريقية الشمالية كتب اليه (الى ابي طاهر) ينكر عليه ذلك ويلومه ويقيم عليه القيامة ويقول « قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والاحاد بما فعلت » وأمره في

(١) تجارب الامم ، الجزء الاول ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٢) ٤٤ .

(٣) ١٢٩/٨ .

(٤) تجارب الامم ، الجزء الاول ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٥) ٤٨ .

الكتاب بأن يعيد الحجر الاسود الى موضعه فأعاده وان كان بعد سنتين . ورأى هذا الكتاب ابن رزام (١) وابن الاثير (٢) أيضا . وقد نقله الثاني عن ثابت نقلا يكاد يكون حرفيا .

ويذكر في (٣) حوادث سنة (٣٦٣ هـ) (٤) عن هجوم القرامطة على مصر وعن الكتاب الذي ارسله الخليفة الفاطمي المعز الى رئيس القرامطة عارضا فيه ادعاءاته ومذكرا اياهم بان دعوتهم كانت له وان جهادهم كله كان في سبيله وفي سبيل اجداده . ونص هذا الكتاب كاملا عند (أخو محسن) - والمقريري (٥) والنويري ، (٦) وهو وثيقة ذات صبغة اسماعيلية ولا يتطرق الشك اليه لمعاصرة ثابت للخليفة الفاطمي .

وهناك بيئة أقوى تأكيدا للصلة بين القرامطة والفاطميين نجدها في رسالتين درزيتين نقلهما دو ساسي (٧) أولاهما السيرة المستقيمة بشأن القرامطة (٢) لحمزة الاصفهاني ويعود تاريخها الى سنة (٤٠٩ هـ = ١٠١٨ م) يقول فيها مؤلفها بعد أن يصف تأسيس الدعوة في هجر (البحرين) من قبل رجل اسمه شاتنيل بن (آدم الدرزي) ما يلي :

(١) النويري : مخطوط في باريس ، ورقة ٧ - ٨ ف .

(٢) ١٥/٨ - دو ساسي : 1, Intro., 220 .

(٣) ٥٢ .

(٤) وهو يسرد الحوادث كما وقعت .

(٥) الاتعاظ ١٣٣ .

(٦) دو ساسي : 1, Intro., 227 .

(٧) المصدر نفسه ص ٢٤٠ .

(٨) المخطوطة في باريس رقم ١٤٠٨ ورقة ٧٤ وما بعدها - المقتبس ١٩١٠ .

٢٠٤/٥ - ٢٠٦ - دو ساسي ١١٢/٢ وما بعدها .

« يذهب أهالي الأحساء عادة الى صرنا (هجر) ليبيعوا ويشترىوا ، فجاء الى صرنا رجل من علماء الأحساء اسمه صرصر فادخله أحد الدعاة في مذهبه وأخذ عليه العهد والمواثيق وجاء به الى آدم الذي هو شاتنيل فعينه آدم داعية للأحساء وما جاورها فانطلق صرصر الى الأحساء وما يتبعها وأخذ اليمين من قوم كثيرين وأوصاهم أن يخلصوا لعقيدة وحدانية مولانا وعبادته ويعترفوا بشاتنيل وامامته ويكفروا بابليس وأتباعه وقال لهم : (اذا دخلتم هجر فقرمطوا أنوفكم على أهلها لان فيها رجلا اسمه الحارث بن ترماح الاصفهاني له أتباع كثيرون ثائرون جميعهم على مولانا العليم ، ولا يعتقدون بأفضلية الامام ، ولا تحدثوا أحدا من أهلها عن الدعوة الا الذين معكم في حضرة الحكيم شاتنيل) . فاستجابوا لصرصر وأطاعوا ما أمرهم به ، وتظاهروا كما قال لهم بالقرمطة ، فسموا بالقرامطة واتسموا بها الى الآن .

وانتشر هذا الاسم في أهالي خراسان وفارس وصاروا اذا وصفوا رجلا بالتوحيد (١) قالوا : هذا قرمطي ، ومن هنا أطلق اسم القرامطة على الاسماعيلية . وقد كان أبو طاهر وسعيد وآخرون كثيرون دعاة مخلصين لمولانا ، خدموه وعرفوا وحدانيته واجلاله وعظموه واعتقدوا انه ليس له روابط مشتركة مع خلقه . وقد أنعم عليهم المولى بلقب « سيد » وعملوا ما لم يعمله غيرهم من الدعاة في نشر عقيدة التوحيد وقتلوا من المشركين أكثر مما فعل غيرهم . ولكن مولانا لم ير اظهار نفسه بينهم لعلمه أن ذلك يوقع الخلاف بينهم حتما وتضيع عقيدة التوحيد فينتشر الضلال ويتبع أطفال بني عباس أهواءهم فيسقطون في الخطيئة والغواية .

(١) هذا الاصطلاح يطلقه الاسماعيليون على انفسهم عادة .

« ولكن يوم الظهور قريب ، وساعة اشهار السيف
والثورة وتقتيل الكافرين وابادة قواتهم آتية تكاد تظهر .
ولا شك في أن اهل الأحساء ومجر وفارس سيعودون الى
معرفة وحدانية مولانا وعبادته كما كانوا من قبل ، سيخرون
سجدا لمولانا وعظمتيه وسيؤمنون بأنه ليس له روابط مشتركة
مع خلقه وسيصبحون حماة عقيدة التوحيد كما كان آباؤهم من
قبل . وسأبعث فيهم دعاة التوحيد وأجمع بقايا الاصدقاء
العبيد وسوف انتصر بسيف مولانا على كل ثائر » .

وقد أنجز ما تضمنته السطور الاخيرة ، فعندنا رسالة
للمقتنع كتبها سنة (٤٢٠ هـ = ١٠٥٨ م) موجهة الى سادة
البحرين وفيها يدعوهم للعودة الى مذهب التوحيد وموالاة
الامام .

ويخاطب المقتنع (١) السادة بأسلوب فيه كثير من
الاحترام معترفا اعترافا واضحا بوحدة الحركتين الاولى
ومذكرا السادة بأعمال اجدادهم المجيدة في خدمة الدعوة .
ويلومهم على ردتهم ويدعوهم للعودة .

وشهادة هاتين الرسالتين الدرزييتين ، تعززهما بينة
المصادر السنية ، لا تترك شكاً في امتزاج القرامطة
والفاطميين برهة من الزمن على الاقل . وليس من الصعب أن
نعترف بما جاء في رسالة حمزة بصدد نشوء القرامطة في
البحرين وان كان بأسلوب خرافي . أما الحارث بن ترماح فمن
المحتمل أنه زكريا الفارسي الذي سنتكلم عنه بعد قليل .

ويظهر من رسالة حمزة ان اسم القرامطة قد أطلق على

(١) المخطوطة ، في باريس ، ورقة ١٦٨ وما بعدها .

فسرق البحرين بعد أن صبوا جميعا الى الدعوة الاسماعيلية بدليل اشتراكهم في الاسم مع قرامطة سوريا والعراق الذين كانوا اسماعيليين دون شك ، ومع الاسماعيلية في فارس . وفي هذه الحالة نستطيع ان نوفق بين رواية عبد الجبار ورواية النوبختي فنقبل كلام عبد الجبار السالف الذي جعل دعوة البحرين ذات طبيعة حنفية باعتباره يمثل وضع القرامطة السابق . وبهذا يكون قرامطة النوبختي انما يعني بهم دعوة الهلال الخصيب أو دعوة البحرين بعد ارتدادهم عن الحنفية . أما تحول القرمطية الاخير الى اسماعيلية خالصة فهو امر بسيط نسبيا .

ب - الاختلاف :

نرى من الرسالتين الدرزييتين ان الحركتين القرمطية والفاطمية اذا كان بينهما تحالف وثيق في اول الامر فقد نشأت بينهما خلافات ذات شأن خطير بعدئذ ، ومصداق هذا نجده في مصادر اخرى ، كما نجد الفاطميين حقا ، عند احتلالهم لمصر ، في نزاع مسلح مع حلفائهم بالأمس .

وقد حلل دو خويه (١) في بحثه عن الحروب بين المعز والقرامطة الظروف التي دفعت الفرق في البحرين الى انتهاج سياسة معادية للفاطميين تحليلا رائعا فقال بأن الدولة القرمطية قد زلزلتها سنة ٣٥٨ هـ = ٩٦٨ م أي قبيل استيلاء الفاطميين على مصر بسنين قليلة ، أزمة داخلية حادة انتهت بالثورة فعلا ، فظهرت على اثر هذا النزاع بين الاحزاب قيادة جديدة كانت مناجزة لخلفاء أفريقية الشمالية .

هذه هي الرواية التي استطاع دو خويه أن يؤلفها من المؤرخين السنة - ولكنه على كل حال لم يستطع أن يجد لهذا النضال والتحول باعثا يعدو الطامع الفردية والحزازات الشخصية . أما اليوم فاننا نستطيع بما لدينا من معلومات غزيرة عن تاريخ الاسماعيلية ان نلمس أسبابا اعمق وان نفرك الخصام الداخلي في البحرين صراعا بين الميول - بين الأفكار .

يقول الدكتور الهمداني (١) - وهو كاتب اسماعيلي حديث : « كان النشاط الثوري الاسماعيلي في هذه الفترة الخاصة في التاريخ الاسلامي (اوائل القرن الرابع الهجري) (القرن العاشر الميلادي) يتطور تطوراً تدريجياً ولكنه ظاهر ملحوظ . فيتأسس المهدي للدولة الفاطمية في أفريقيا اتخذت الحركة الاسماعيلية التي كانت تستهدف نقطة عقلية « سياسية » في الاسلام وضعا أكثر محافظة وخطورة تجاه النظم الاسلامية القائمة حينذاك . فالدعوة التي توخت تقويض دعائم الخلافة العباسية أصبحت تدافع عن ادعاءات الفاطميين . حتى اذا استكملت الدولة الفاطمية قواها واستقر سلطانها ، لمنا في أعمال الدعاة في هذا العهد انحرافا وتحولا عن مبادئهم الثورية والمنتقلة الى التسامح فيها والتحرر منها ومماشاة الرجعية . فأصبح واجب الدعوة عندئذ أن تتولى مهمة الدفاع عن الخلافة ومساعدة الدولة معا ، .

فكان لا بد لمثل هذا التبدل الاساسي ان يثير عليهم نغمة الغلاة المتحمسين . والحق ان هناك مظاهر عدة لصدام

(١) بعض المؤلفين (Some Authers) .

مذهبي خطير في هذا العهد (١) . وعلى هذا فليس من الظن
الاعتباطي أن نغزو مصادمات ذلك العهد الى التصادم الذي
كان لا بد منه بين أنصار مذهب الدولة الرسمي في افريقية
الذي تحور كثيرا ، وبين الدعاة الذين حافظوا على تقاليد
الدولة الثورية القديمة . فان هؤلاء الذين حافظوا على
التقاليد الثورية أبوا ان يتقبلوا التبدلات التي أوجدها
الفاطميون ، وان الفاطميين وجدوا الاتحاد مع القرامطة السيئي
السمعة المبغضين الى الناس كافة يحول دون سلامة دولتهم
والاسرة الحاكمة واتساع سلطانها .

ولهذا النوع من الخصام أدلة وافية في مصادرنا ،
كالمجادلات المذهبية بين السجزي والنسفي . وكان النسفي
يمثل الفكرة الثورية تمثيلا واضحا (٢) .

وكالذي ذكره النويري (٣) وابن حوقل (٤) من خروج
الداعيين عبدان وحمدان . وقد أظهر دوخويه (٥) أبان بيان
النويري لا يصح الوثوق به ، وان خروج هذين الداعيين
ان كان حدث في يوم ما فانما يجب ان يكون حدوثه عندما
نودي بسعيد - عبيد الله مهديا وقتل ابو عبد الله الشيعي .
وعلى هذا فان المناداة بسعيد الذي يعرفه الداعيان انه من ولد
القداح مهديا ، هي التي كشفت عنهما نقاب الوهم واهابت

(١) ايفانوف : كلام بير ، الجزء الثالث عشر .

(٢) عن هذين الداعيين انظر ايفانوف : Guide, 33 and 35

ولكن الفرق بينهما ، على كل حال ، لم يكن جوهريا لان النسفي ظل داعية
فاطميا .

(٣) دو سامي :

(٤) ٢١٠ .

(٥) ٥٩ وما بعدها .

بهما للخروج ، فقد رأينا أن الاسماعيليين لا يعتبرون سعيدا في كتاباتهم السرية الا قداحيا وان الامام السري موجود يوشك ان يظهر . فالاكثر احتمالا أن قتل ابي عبد الله - وهو في ذاته دليل على الانشقاق الداخلي الشديد في الدعوة الاسماعيلية - هو الذي أفزع الداعيين وقدر انفصالهما . ولما انفصلا اوجدا - كما قال دوخويه - نوعا من المقاومة الاسماعيلية قامت على صلات متوترة مع الفاطميين حتى وقع الاصطدام العلني سنة ٣٦١ هـ = ٩٧١ م .

ولا بد ان تكون هذه المقاومة التي بلغت ذروتها في الصدام المسلح بين المعز والقرامطة قد بدأت بعد تسلم عبد الله الخلافة توا . وقد كانت ثورة الداعبي الزاهد ابي عبد الله الشيعي وقتله نذير سوء . كما أن ثورة البرابرة الزناتيين الخطيرة بقيادة ابي يزيد ، تلك الثورة التي كادت تقضي على الاسرة الفاطمية ، أشعرت الفاطميين بالاضطراب المتأني من تطبيق العقائد الاسماعيلية على النهج الثوري . فكان الوضع ملائما لتطبيق العقيدة الشيعية ، عقيدة التقية (١) .

فيقص لنا عبد الجبار (٢) في عبارة مبهمة غير واضحة في النص لسوء الحظ وضوحا تاما ، بأن اسماعيل المنصور الخليفة الفاطمي الثالث ، قد تظاهر بعد هزيمة ابي يزيد بالعودة الى الاسلام فقتل الدعاة ونفى بعضهم الى اسبانيا وإلى اقطار أخرى وقال للعامة : « من سمع منكم احدا يسب النبي فليقتله وأنا من ورثته » وقرب اليه الفقهاء والمحدثين

(١) عن التقية انظر كولدزير في موضوع التقية في Z. D. M. G. Lx, 213 ff.

(٢) ورقة ١٥٠ .

واستمع اليهم وخضع العامة وادعى أن كل من كان في الدعوة ودعا الى الاباحية فانما فعل ذلك دون علم ابي أو جدي ، وخفف الضرائب وأظهر ولما بالفقه .

ويستمر عبد الجبار فيسرد أعمال ابي ظاهر وثورته على القاطمين وفضحه للاسرار المذهبية وترحيبه بالدجال زكريا الأصفهاني . وينكر عبد الجبار بأن « الدعاة أمثال ابي القاسم عيسى بن موسى وابي مسلم بن محمد الموصلی ، وابي بكر وأخيه وابي حاتم بن حمدان الرازي الكلاعي (١) وآخرين قد ماتوا أسفا وحزنا على فضح أبي طاهر للدعوة » .

وهناك حادث آخر يصور الخلافات بين البحرين وأفريقية وهي مسألة الدجال الفارسي التي يحيط بها الغموض فقد ذكر ثابت بن سنان (٢) وتابعه ابن الأثير (٣) ، البحث التالي عن الحوادث التي وقعت كما يقول سنة ٢٢٦ هـ = ٩٢٧ م .

كان لابن سنبر أحد رؤساء القرامطة عدو بينهم ، يعرف بأبي حفص الشريك . فاستدعى ابن سنبر صديقا له من أصفهان اسمه ذو النون الصفوي ، ووعدته أن يكشف له عن أسرار القرامطة ويسلم له الأمر كله إذا هو قتل أبا حفص ، فضمن له ذلك . فذهب الأصفهاني الى أبي طاهر وأعطاه العلامات فسلم له الأمر وقال : هذا الذي كنت أدعوكم اليه والأمر له . فلما تمكن من الأمر وثبت قتل أبا حفص وأمن في قتل آخرين ، فخافه أبو طاهر وشك في أمره فامتحنه ووقف على كذبه ، فأعلن أنه محتال وقتله .

(١) عن ابن حماد وأبي حاتم أنظر إيفانوف : Guide, 31 and 22

(٢) ٥٤ .

(٣) ٢٦٣/٨ .

ونذكر مسكويه (١) وكتاب العيون (٢) رواية كرواية ثابت
ويقصانها في حوادث سنة ٣٣٢ هـ = ٩٤٣ م ولكنهما يشيران
الى انها وقعت في اثناء حياة ابي طاهر .

وللقصة رواية اخرى ذكرها عريب (٣) واخذ نصها
البيروني (٤) وهو يسمى الفارسي بزكريا الخراساني ويذكره
في حوادث سنة ٣١٩ هـ = ٩٣١ م ولكن عريبا لا يشير الى
ابن سنبر ولا الى خصمه . وعلى هذا فروايتة ناقصة .

ويقفو عبد الجبار اثر عريب (٥) من حيث الاساس وهو
وان لم يذكر التاريخ الا انه يضع الحادث بعد غزو مكة الذي
حدث سنة ٣١٧ هـ = ٩٢٩ م مباشرة . ويسمى الفارسي
بزكريا الاصفهاني الجوسي ، ولا يذكر كذلك ابن سنبر
وخصمه . وقد اعلن القرامطة في اثناء حكم زكريا بان جميع
تعاليمهم السابقة عن المهدي والنسب النبوي ما هي الا لغو .
وكشفوا عن اسرار فرقتهم كلها ونشروا ، لأول مرة ، قصة
عبد الله بن ميمون ودندان وغيرهما وخططهم في خداع المسلمين
وطعنوا في جميع الاديان ، واحرقوا الكتب الدينية كلها
ونادوا بزكريا الها واستحلوا المحرمات ولكنهم ندموا اخيرا
وقتلوا زكريا وقلدوا ابا طاهر الامر من جديد ورجعوا الى
ولاتهم للمهدي .

يظهر من هذا كله اننا نجابه روايتين متمايزتين كلتاهما

(١) ٥٥/٢ .

(٢) مقتبسة في در خويه ص ١٣٣ .

(٣) ١٦٢ .

(٤) الاثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢١٢ .

(٥) ورقة ١٤٧ ، ٢ .

قوية تعتمد على مصادر موثوق بها ، ولهذا فلا يمكننا
نصدر حكما قاطعا لمواضع الخلاف بينهما . ولكن الذي يتضح
من كليهما ان ثورة خطيرة نشبت بين القرامطة في البحرين في
وقت من اوقات فترة الثلاثين الاولى من القرن الرابع الهجري
دلت برهنة من الزمن على رفض سلطة الفاطميين والرجوع
الى عقيدة أكثر تطرفا . ويبدو ان الخلاف لم يكن دائميا في وقت
ما فالقرامطة - كما رأينا قد تخلوا اخيرا عن زكريا وعادوا
الى خضوعهم للمهدي واعادوا الحجر الاسود الى موضعه
سنة ٣٣٩ هـ = ٩٥٠ م بأمر من الفاطميين ، وهناك دلائل تدل
على انهم اعترفوا بالفاطميين احيانا حتى بعد حروبهم مع المعز
ويذكر ابن حوقل انهم ارسلوا ضريبة سنوية الى الامام سنة
٣٦٧ هـ = ٩٧٧ م (١) .

(١) الطبعة الحديثة ص ٢٨ ، الطبعة القديمة ص ٢٢ .

٧ - المدلول الاجتماعي للاسماعيلية

١ - الاسس الاجتماعية :

من المسائل الكثيرة في الحركة الاسماعيلية مسألة **الحل** . حلا مرضيا هي مسألة دلالتها التاريخية الجوهرية . اذ من الواضح أن حركة بهذا المدى وبهذه القوة لا بد أن تكون وليدة قوى تاريخية ممتدة الجذور ، ووليدة حاجة اليها ملحة في ذلك الوقت اتاحت لها أن تبلغ ما بلغته من الاتساع .

لقد سأل الكتاب الاقدمون انفسهم امثال الغزالي والبغدادى وابن الجوزي عن سبب انتشار الحركة بهذه السرعة ، وافترضوا اسبابا تختلف في قوة الاقناع وخلاصتها ، وهي تمثل وجهة نظر السنة ، أن الاسماعيلية تمثل جهود العقائد التي غلبها الاسلام لتندس فيه فتقضي عليه او تحل محله ، اما بشكلها القديم او بشكل الحادي خالص . ويتبين هذا في السعي لجعل موجدي الاسماعيلية زرادشتيين ومانويين وديصافيين ... الخ .

« فذهب أكثر (المتكلمين) الى أن اغراض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتاويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة ... » .

• والذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية
زنادقة يقولون بقدوم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها ،
ليسلم الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع (١) ، •

• وغاية مقصدهم الانسلاخ من الدين فشاؤروا جماعة
من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة في استنباط
تدبير يحفف عنهم ما أصابهم من استيلاء الدين عليهم •

• ورأوا امر محمد (ص) قد استطار في الاقطار وانهم
عجزوا عن مقاومته ، فقالوا سبيلنا ان نتحل عقيدة طائفة
أقبلها للمحاولات والتصديق بالاكاذيب وهم الروافض فنتحصن
بالانتساب اليهم (فيمكننا) استدراجهم الى الانخداع عن الدين (٢) •

ويذهب أوائل المستشرقين المحدثين أمثال كاراديفو وبلوشنيه
وغيرهما الى ان الاسماعيلية حركة قومية وعنصرية اكثر منها
حركة دينية ، هي ثورة فارس الآرية ضد سامية الاسلام • الا ان
فلهوزن وغولدزيهر فندا رأيهما بحجج قوية حتى أصبح من
المتعذر قبوله • وأول هذه الحجج هي أن الحركة أبعد من أن تكون
مقتصرة على الفرس بل كانت في الحقيقة - حتى زمن متأخر -
أقوى ما تكون في أراضي العراق وسوريا العربية أو السامية
حتى ان التحقيق الحديث ليزيد من أهمية الفرق الغنوصية
والصوفية الغاليتين بين الساميين والمصريين • ثم صبأت الطبقات

(١) البغدادي ٢٧٧ - ٢٧٨ ، الترجمة ١٢٠ - ١٢١ •

(٢) الغالي • كولدزيهر ٢٨ - ٢٩ ، انظر مثال هذه العبارة في ابن

الجوزي : تلبس إبليس ١٠٨ - ١٠٩ و ١١٢ - ١١٣ ، وفي :

٢٦٢ - ٢٦١ - and R. S. O. 253 - وأغلب مذهبهم بطابق ثنوية

المجوس والفلاسفة باطنا والملاحدة ظاهرا • انظر ايضا دو ساسي :

,1 Intro 74 ff.

المظلومة من الآراميين والعرب الى التعاليم الهرطقية Herétique. المختلفة فقد اعتنقت الطبقات الحاكمة من الزرادشتيين القاريين مذهب السنة بعد وقت قصير وسرعان ما اصبحوا في عداد الطبقة الحاكمة من العرب . وحتى اولئك الذين بقوا مخلصين للزردشتية لم يكن ازدراءهم للفرق المارقة الايرانية بأقل من ازدراء العرب لها (١) .

يظهر من كل هذا أن الحركة - حتى اذا كان لها اساس مادي تقوم فلسفتها عليه - انما كانت تقررهما عوامل اجتماعية . ويتفق هذا مع ما توصلت اليه تحقيقات فان فلوثن وبيكر من أن الاسلام لم يكن في ادواره الاولى دينا بقدر ما كان علامة امتياز للارستقراطية المنتصرة ، والمذهب الرسمي للدولة التي تمثله . وعلى هذا فان الشيعة الثورية كانت النتيجة الطبيعية في وسط ثيوقراطي لثورة الطبقات المظلومة ، الفارسية والسامية على السواء . وتظهر طبيعة هذه الطبقة في الابيات التي اقتبسها بلاشير (٢) وهي :

تلوم على تركي الصلاة خليلتي
فقلت اغربي عن ناظري ! أنت طالق

فوالله لا صليت لله مفلسا
يصلي له الشيخ الجليل وفائق

لماذا أصلي ؟ أينبغي ومنزلي
واين خيولي والحلى والمناطق؟

-
- (١) صديقي les Mouvements, 61, 88, 121. وتهمة ثابت بن سنان الصابي للقرامطة بأقل شدة من تهمة المعاصرين السنة لهم .
أنظر مخطوطة ثابت ص ٢٨ .
(٢) المتنبي ٨١/٢ ، وهي بغض قصيدة ورد أصلها في ارشاد الاريب لياقوت

أصلي ولا فتر من الأرض يحتوي
عليه يميني ؟ انني لمنافق

بلى . ان علي الله وسع لم ازل
أصلي له ما لاح في الجو بارق

وفي أواخر القرن التاسع وفي القرن العاشر نمت التجارة والصناعة في الامبراطورية العباسية فأصبحت المشكلة الاجتماعية أكثر حدة ، وأصبحت الحركات التي تمثل تضايقا اجتماعيا واهدافا اجتماعية أشد ظهورا . وكانت أولى علامات الخطر ثورة الزنج ، العبيد العاملين في اهواز العراق المحلية ، ثم مؤامرة القرامطة على المجتمع الاسلامي . وقد جاءت اول اخبارها سنة ٢٧٩ هـ ٨٩٢ م . والطبري (١) وهو اقدم مصادرها وان كان بعيدا عن ادراك مدى الحوادث التي يقصها وادراك ملاساتها فانه يروي شيئا مهما ، ذلك أن اول احتجاج على دعوة القرامطة السلمية وجهه مالك احدى المقاطعات يشكو من الخمسين صلاة في اليوم التي امر بها الداعي ، لانها تعرقل شغل عماله . وقد لا نكون مغالين - لما نعرف من موقف القرامطة من الصلاة - اذا اعتبرنا الخمسين صلاة في اليوم عرقلة مقصودة لساعات العمل . ويورد الطبري (٢) أيضا ملاحظة هامة جدا وهي ان القرامطة اكثرهم من الفلاحين .

اما الكتاب المتأخرون فقد نفذوا نفوذنا اعمق الى الطبيعة الاجتماعية للتعاليم الاسماعيلية والى التركيب

(١) ٢١٢٦/٣
(٢) ٢١٩٨/٣ - ٢٢٠٢

الاجتماعي لاتباعها . فابن رزّام (١) يؤكد في مواقف عدة على ان الاسماعيليين كانوا يبشرون بان الشرائع لم تكن الا لتقييد الجماهير وصيانة المصالح الدنيوية للطبقة الحاكمة ، اما المثقفون فلا حاجة لخضوعهم لها . وينسب البغدادي (٢) أيضا مثل هذه الطبيعة الى عقائد الاسماعيليين وما المكتوب الشهير الذي يرويه لعبيد الله الاحمدي قاسية على الاسس الاجتماعية للمجتمع الاسلامي السني . وقد أدرك الغزالي (٣) جيدا ان العقائد الاسماعيلية تصادف هوى في نفوس العامة . لذا نجده يوجه كلامه اليهم ولا سيما في كتابه فضائح الباطنية . اما ابن الجوزي (٤) وهو بعيد النظر في شؤون المارقين ، فانه يشير الى سهولة انقياد العامة للتعاليم الاحاديية والى أن طبيعة التعاليم الباطنية سلب الاموال ونهبها .

ورب معترض يقول بأن جميع هذه المصادر معادية للاسماعيلية شديدة التحامل عليها ، فأحكامها لهذا ذات قيمة ضئيلة ، ولكن مثل هذا الاعتراض ضعيف ، فنحن ان استطعنا ان نكذب التهم التي الصقت بالاسماعيلية كتهمة الجماعية فان نقل الكتاب هذه الحركة من الاتجاه الديني الى الاتجاه الاقتصادي ليرينا مصدر الخطر الحقيقي الذي كانوا يخشونه . وقد كان الغزالي صريحا في هذا الشأن فقال بأن خطر الهرطقة الرئيسي إنما هو في استهوائها الطبقات العاملة واهل الصناعات والحرف (٥) .

(١) نو ساسي : 1, Intro, 115 - 7 (- الميرزي ، خطط ٢٩٤)

و ١٢٣ - ١٣٥ (الميرزي ، خطط ، ٢٩٥) .

(٢) ٢٨١ - ٢٨٢ ، الترجمة ١٢٦ - ١٢٧ .

(٣) كولنزيهر : Extrats 2 , 14, 15, 16

(٤) تلبيس ابليس : ١١١ ، ١١٢ ، ١١٦ .

(٥) كولنزيهر ٢٣ - ٢٤ .

وقد استطاعت الاسماعيلية باتصالاتها بأصناف اهل
الصناعات والحرف ان تؤثر في الطبقات العاملة تأثيرا قويا ،
وان تترك فيها اثرا عميقا لم يمحه اضطهاد قرون عدة (١) .

ب - التداخل المعتقدي

(Interconfessionalism)

صادفت الدعوة الاسماعيلية هوى في نفوس جماعات
مختلفة في العنصر والدين ، مزدكيين ومانويين وصابئين وشيعة
وسنة ومسيحيين ويهود من كل نوع فأنشأت بحكم الضرورة نطاقا
قويا من التداخل المعتقدي يقترب احيانا من مذهب
عقلي خالص . وقد سبقهم الى هذا عيسوية اصفهان وربما تأثروا
بها . والعيسوية هي فرقة يهودية ادعت في اثناء خلافة عبد
الملك الاموي بأن محمدا وعيسى كانا نبيين صادقين بالنسبة
الى وطنيهما وشعبيهما اللذين ظهرا فيهما . فطور الاسماعيليون
هذه الفكرة وصاغوها نظاما محكما أصبحت بموجبها الصحة
النسبية لجميع الاديان معترفا بها ، والغى التعصب الديني
الغاء تاما . وخير تعبير عن هذا نجده في رسائل اخوان الصفا
ومنها نقتبس العبارات التالية التي تمثل النغمة العامة للحرية
الدينية :

(٤) يرى بعضهم ان الاسماعيليين هم الذين اسسوا النقابات الاسلامية . وان
كان في هذا مجال للشك فان اتصالهم الوثيق بها امر لا جدال فيه
واذا شئت بحثا عن النقابات الاسلامية (Islamic Guilds)
في مجلة التاريخ الاقتصادي ، تشرين الثاني . ١٩٢٧ .

« ... وينبغي لأغلوأنك - أيدهم الله - أن لا يعادوا علما من العلوم أو يهجروا كتابا من الكتب ، ولا يتعصبوا على مذهب عن المذاهب ، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها (١) » .

« ... ومن الناس من يرى ويعتقد في دينه ومذهبه الرحمة والشفقة للناس كلهم ويرثي للمذنبين ويستغفر لهم ويتحنن على كل روح من الحيوان ، ويريد الصلاح للكل وهذا مذهب الأبرار والزهاد والصالحين من المؤمنين . وهكذا مذهب أخواننا الكرام (٢) » .

« وأعلم أيها الأخ أن من سعادتك أيضا أن يتفق لك معلم ذكي جيد الطبع ، حسن الخلق ، صافي الذهن ، محب للعلم ، طالب للحق غير متعصب لرأي من المذاهب (٣) » .

« ينبغي لك أيها الأخ ألا تشغل باصلاح المشايخ الهرمة الذين اعتقدوا من الصبا آراء فاسدة وعادات رديئة وأخلاقا وحشة ، فانهم يعميوك ثم لا ينصلحون . وإن صلحوا قليلا فلا يفلحون » .

« ولكن عليك بالشباب السالمي الصدور ، الراغبين في الآداب ، المبتدئين بالنظر في العلوم ، المريدين طريق الحق والدار الآخرة ، والمؤمنين بيسوم الحساب المستعملين شرائع الأنبياء عليهم السلام ، الباحثين عن اسرار كتبهم ، القاريين

.....
(١) ١٠٥ .

(٢) ١٠٨ .

(٣) ١١٤ .

الهوى والجدل ، غير متعصبين للمذاهب (١) ،

وقد درسوا كتب اليهود والنصارى المقدسة وفسروها
باساليب اسماعيلية . وقد استفاد الفيلسوف الفاطمي الكبير
حميد الدين الكرمانى المتوفى بعد سنة (٤٠٨هـ = ١٠١٧م) كثيرا
من القوراة والانجيل (٢) . ونجد في كتب الدروز أيضا (٣) اشارات
للقوراة والانجيل بل هناك ترجمة فارسية لموعظة الجبل بتفسير
اسماعيلي . وقد ذكر بنيامين التطيلي أن الدروز في سورية كانوا
اصدقاء مخلصين لليهود ، وكان في فارس مجتمع يهودي
يعيش تحت حكم الاسماعيليين ويذهب ابناؤه الى الحرب كلما
ذهب الاسماعيليون للحرب (٤) .

وهناك مثل آخر لتحزر الاسماعيليين هو أن الداعي
الاسماعيلي ابن حوشب عندما ذهب الى اليمن وجد أهلها يعتقدون
بظهور مهدي يدعى المنصور (٥) ، فلم يعترضهم بل أيدهم .
وهو لم يؤيدهم في الحقيقة الا ليستخدم هذه العقيدة في صالح
الاسماعيليين . ويذكر عبد الجبار أن الداعي وعد اليمانيين
بظهور المهدي في اليمن (٦) . وقد يكون ما جاء في الرسالة

(١) ١١٤ .

(٢) كراوس : آداب اليهود والسريان : مجلة الاسلام ، عدد ١٩ .

(٣) دو ساسي : ٤٨٩/١ و ٤٩٨ .

(٤) ٦٢ و ١٢٠ طبعة آشير ، نيويورك ، القسم الاول .

(٥) في الكتابات اليمانية اشارات عديدة الى مهدي حميري يطلق عليه

منصور حمير أو منصور اليمن . انظر : Burgen und schlosser,

407 - 8 and 367 - 8 وكذلك الهمداني : اكليل ص ٧١ - ٧٢ ،

والمقدسي : هوار ١٨٣/٢ ، الترجمة ١٦٤ .

(٦) ورقة ١٤٣ ب .

الدرزية المسماة رسالة السفر الى السادة اوسع عبارة وردت في هذا الصدد ، اذ تقول بأن العقيدة الدرزية جبت جميع العقائد الاخرى كالاسلام والمسيحية واليهودية والزرادشتية ، وما اتصل بها من نحل وطوائف (١) وليس بين شمولها هذه الاديان وبين قيامها مقامها الا خطوة واحدة .

وفي الكتابات الاسماعيلية كثير من اشباه هذه التصريحات مثال ذلك كتاب (الشواهد) لجعفر بن منصور اليماني الذي يعد الصابئين من المؤمنين بالله . ويقول بأن اليهود والمسيحيين وأتباع أي دين آخر ، يؤمنون بالله وباليوم الآخر ويعملون الصالحات ويطيعون الله ، ويدخلون الجنة (٢) .

وقد افزع مذهب التداخل المعتقدى (Interconfessionalism) هذا فقهاء السنة فأسهب ابن رزام (٣) في الكلام عن تسامح الدعوة الباطنية الديني وعن محاولتها ضم الناس من كل دين بعرضها لهم ما هو اكثر استهواء وتشويقا . ويذكر هذا الغزالي (٤) ايضا ويأسف له ويستعيز منه .

ولم تمت روح التسامح والتحرر هذه بسقوط القرمطية الثورية فقد تركت اثرها في السياسة الدينية السمحة للخلفاء الفاطميين وفي الحرية الدينية للأصناف في العهد الاول على الاقل وفي التيار القوي لمذهب التداخل المعتقدى في الآداب الاسماعيلية المتأخرة . وأخيرا في تأثيرها في عدد من الشخصيات الذكية ، ابرزها المعري وعمر الخيام (٥) .

(١) المخطوطة ، باريس ، ١٧٢ و ١٧٣ .

(٢) المخطوطة ، القاهرة ، ٤٢ - ٤٣ .

(٣) دو سناسي : 1. Intro., 133, 14, as, etc .

(٤) غولنزيهر ٤٤ و Extract 6

(٥) يزعم صاحب الفلك الدوار أن كليهما اسماعيلي : ص ١٧٠ . ١٧٧ .

ج - الجماعية (ملكية الجماعة)

من التهم المتواترة التي وجهها الخصوم السنة الى القرامطة والاسماعيليين هي انهم دعوا الى جماعية الاموال والنساء وطبقوها . حتى أن مؤلف سياسة نامه ليعتبر الاسماعيلية استمرارا مباشرا للحركة المزدكية في العصر الساساني ، ويقدم لبحثه عن عقائد الاسماعيلية ونشاطهم بوصف مسهب لحركة مزدك . ويمكننا أن نفهم أساس برنامج مزدك الجماعي الديني من عبارة تنسبها اليه سياسة نامه (١) ، وهي أنه « يجب ان تشاع الاموال وتوزع حسب الحاجة » . ونحن نستطيع أن نسلم بأن مزدك دعا الى جماعية الاموال ، واما دعوته الى جماعية النساء فأمر مشكوك فيه (٢) .

وكانت حلقة الوصل بين مزدك والاسماعيليين ، اعتمادا على سياسة نامه (٢) ، أرملة مزدك حرمة التي أوجدت الفرقة الخرمية السرية التي كان من اتباعها أبو مسلم وسندباد الجوسي . أما استحالة هذه الحركة - لاسباب انتهازية خالصة - الى التشيع فانها تظهر في العبارة القائلة : « قد اصبح مزدك شيعيا (٤) » .

(١) ١٦٨ ، الترجمة ٢٤٨ .

(٢) انظر مسألة مزدك بالتفصيل في كتاب : ايران تحت حكم الساسانيين تأليف كرستنسن .

(٢) ١٨٢ ، الترجمة ٢٥٥ .

(٤) ١٧٣ ، الترجمة ٢٦٨ .

وقصة الخرمية كلها وروابطها بالحركة الايرانية قبل الاسلام من جهة وبالاسماعيلية من جهة اخرى لا تزال غير مؤكدة ، ولا نستطيع ان نتناول بحثها هنا . وفي كتاب الدكتور صديقي (١) تحليل قيم لذلك فليرجع اليه من يريد .

ولو طالعنا تاريخ الفرق القرمطية والاسماعيلية الحقيقي لاستندنا الى اساس أقوى . فهنا تذكر سياسة نامة بحثا صحيحا صريحا عن ظهور الفرق وانتشارها وعن نشاط دعائها في الاقطار المختلفة . ويتفق البحث العام مع غالبية المصادر السننية . والامر ذو الاهمية الخاصة فيه هو التأكيد المكرر على تشابه المزدكية والترمطية والحكم على أن الاحاد والشيوعية والاباحية كانت شائعة في البحرين .

ويذكر ابن رزّام بحثا عن جماعية القرامطة اكثر تفصيلا وأكثر اقناعا والعبارة التي تخص الموضوع محفوظة في النويري وهي تصف لنا تأسيس مجتمع جماعي في جوار الكوفة (٢) واستنادا الى هذا البحث نقول : لما استمال الداعي حمدان قرمط سكان بعض القرى العراقية الى عقيدته فرض عليهم ضرائب عدة وجبايات تصاعدية . ثم فرض عليهم الالفه وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد وأن يكونوا في ذلك أسوة واحدة لا يفضل واحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه . وتلا قوله تعالى « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » وتلا عليهم قوله تعالى « لو انفقتم ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » وعرفهم أنه لا حاجة بهم الى أموال تكون معهم لان الارض

Les Mouvements Religieux Iraniens (١)

(٢) دو خويه ٢٩ - نويري مخطوطة باريس ورقة ٨٤ ف ، قارن دو ماسي

Int. 186

بأسرها ستكون لهم دون غيرهم . وقال لهم هذه محتكم التي
 امتحنتم بها لنعلم كيف تعملون . وطالبهم بشراء السلاح واعداده
 وذلك في سنة ست وسبعين ومثتين . واقام الدعاة في كل قرية
 رجلا مختارا من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم
 وحلى ومتاع وغيره . فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم ما يكفيهم
 ولا يبقى فقيرا بينهم ولا محتاجا ضعيفا . واخذ كل رجل منهم
 بالانكماش في صناعته والتكسب بجهده ليكون له الفضل في رتبته .
 وكانت المرأة تجمع اليه كسبها من مغزلها والصبي أجر نظارته
 الطير . فلم يملك أحد منهم الا سيفه وسلاحه . فلما استقام له
 ذلك كله وصبوا اليه وعملوا به امر الدعاة ان يجمعوا النساء ليلة
 معروفة ويختلطن بالرجال وقال ان ذلك من صحة الود والالفة
 بينهم .

وليس لدينا نصوص أخرى عدا هاتين الروايتين وكلتاها
 من رواية أعداء القرامطة وتمتاز بالتعصب الشديد عليهم الا قليل
 من الاحكام العامة (١) . وكتابات الاسماعيليين أنفسهم لا تحمل
 اثرا لعقيدة الجماعية ولكن هذا لا يسوغ لنا أن نرفض رواية ابن
 رزّام لان جميع الكتابات الاسماعيلية الباقية انما تؤرخ ما بعد
 تأسيس الخلافة الفاطمية ، عندما فترت العقائد الثورية التي كانت
 قبلئذ، وتلطفت لتلائم حاجة الدولة والاسرة المالكة . وعلى هذا فمن
 الممكن ان يكون الدعاة الاولون قد دعوا الى نوع من الجماعية
 ربما قام بتطبيقها قرامطة البحرين الذين لم يتأثروا - كما رأينا -

(١) يعتبر ابن حزم (فريد ليندر ١/٣٧ ، ٢/١٩ - ٢٠) الشيوعية عاملا
 أساسيا وحيويا في عقائد الاسماعيليين والقرامطة والفاطميين . ويذكر
 ابن حوقل (ص ٢١٠) اعمالا شبه شيوعية قام بها ابو سعيد في جنوب
 فارس . ويروي أن الرعيني ، تلميذ الفيلسوف الموالى للاسماعيلية ابن
 مسرة وخليفته (القرن التاسع - العاشر) ، قد دعا الى شيوعية الاموال ،
 وربما الى الاباحية في الحب . Pala cios, 99 - 103 Asina

بالتبدلات التي طرأت على العقيدة في افريقية (١) . ولدينا عن هذا مصدران لهما قيمة هامة وهما مشاهدات رحالتين كلاهما من اشد انصار الفاطميين ، زارا القرامطة في البحرين وسجلا مشاهدتهما هناك . ومنها نستطيع ان نحصل على صورة لافكار القرامطة السياسية والاجتماعية ولتنظيماتهم الادارية .

د - وضع البحرين

واقدم هذين المصدرين وأوجزهما كتاب ابن حوقل . زار البحرين في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي ، ونكر شيئاً يسيراً جديداً عما يتعلق بالنظام الاجتماعي للدولة القرمطية ، ولكنه يبدي بعض الملاحظات الهامة عن بنائها السياسي . ففولة القرامطة عنده (٢) كانت من نوع الجمهورية الاوليفارشية (حكم الالقية) ، ولم يكن حاكمها مستبداً بأي حال ، بل هو رئيس جماعة متساوية ، يعاونه في الحكم مجلس مؤلف من أتباعه المقربين ، ومن تربطهم روابط النسب والقتشيء ، يعرف بالعقدانية (٣) . ويذكر ابن حوقل أسماء أفرادها ووظائفهم . وكانت الاسرتان الحاكمتان أسرة ابي سعيد الجنابي وأسرة ابن سنبر . ويظهر ان أسرة ابن سنبر كانت لها زعامة محلية قبل أيام القرامطة . ويتكلم أيضاً عن الضرائب والكوس المختلفة التي تكون موازداً للدولة

(١) اعتقد أننا يمكننا أن نرفض بدون تردد الرأي القائل بأن الاسماعيليين قد طبقوا جماعته النساء وتعلمنا الكتابات الدرزية بأن الاسماعيليين قد منحو المرأة مركزاً سامياً وحراً لم يمنحه ايها أهل السنة المعاصرون ، وربما كانت هذه الحرية النسبية للنساء الاسماعيليات هي التي تمثلت لآعين أهل السنة المتعصبين دعارة محضة .

(٢) الطبعة الحديثة ٢٥ - ٢٧ ، الطبعة القديمة ٢١ - ٢٢ .

(٣) من ييدهم الطل والعقد : دو خويه ١٥٦ .

القرمطية ، وعن توزيع هذه الموارد على العقدانية بعد حسد
الخمس منها للامام . وقد زاد الداخل - كما يقول - على المليون
دينار . (١)

اما المصدر الثاني فهو كتاب سفر نامه لناصر خسرو وهو
اسماعيلي فارسي ، زار البحرين في خلال القرن الحادي عشر
الميلادي عند دعوته من مصر الى فارس . وفي هذا الكتاب وصف
اسهب من سابقه . وفيما يلي موجز كلامه عن الاحساء عاصمة
القرامطة (٢) :

كان في الاحساء اكثر من عشرين ألف محارب . وكان
الحاكم السابق ابو سعيد الذي أبطل الصيام والصلاة . وقد سمي
الاهالي انفسهم بعده (أبو السعيديين) . وهم لا يصلون ولا
يصومون على الرغم من اعترافهم بنبوة محمد . ولما توفى أبو سعيد
انتقلت الحكومة الى مجلس شورى مؤلف من ستة من تلاميذه (٣)
حكموا بالعدل والانصاف . وكان هذا المجلس لا يزال يقوم بمهام
وظيفته عندما زاره ناصر خسرو . وكان له ثلاثون ألف عبد زنجي
يشغلون بالزراعة وفلاحة البساتين . وليس عندهم ضرائب ولا
اعشار . واذا افتقر انسان أو استدان اعانه الآخرون ليستعيد
وضعه . وليس للدائن غير رأسماله . وكل غريب ينزل هذه المدينة
وله صناعة ، يعطى ما يكفيه من المال ليشترى به ما يلزم صناعته
من عدة وآلات . وهناك بيوت معدة لسكنى الفقراء على حساب
المجموع . وقد شاهد ناصر في الاحساء طواحين تملكها الدولة
وتدير شؤونها ، تطحن الحبوب للرعية مجانا .

(١) اذا اردت الاستزادة فانظر دو خويه ١٥٠ وما بعدها ففيه بحث لهذا
والصادر أخرى .

(٢) ٨٢ وما بعدها ، الترجمة ٢٢٥ وما بعدها .

(٣) -----

وكان الحكام يسمون (السادة) ، ووزراؤهم (الشيعة) (١) .
وليس في مدينة الاحساء مسجد ولا صلوات ولا خطب أو مراسيم
الجمعة ، بيد أن الحجاج السننيين بنوا لانفسهم مسجدا على
حسابهم . وكانت المعاملات التجارية تجري بواسطة نقود
اصطلاحية لا يجوز اخراجها من البلد . واهل البلاد وان كانوا لا
يصلون فانهم لا يمنعون احدا من الصلاة ، وهم لا يشربون الخمر
مهما كانت الظروف . واذا تحدث أحد السادة الى مستمع اليه
تكلم بوقفة وتواضع .

وفي الاحساء تؤكل لحوم الحيوانات كلها من قطط وكلاب
وحمير . . . وغيرها ويشترط القانونون أن يعرض رأس الحيوان
وجلداه بجانبها ليعرف المشترون ما يشترون .

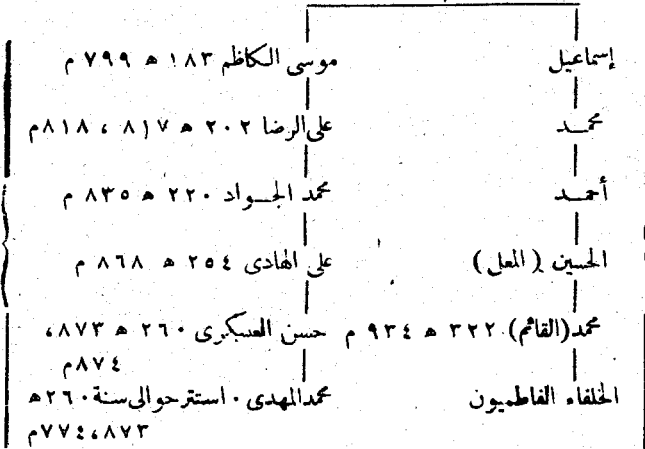
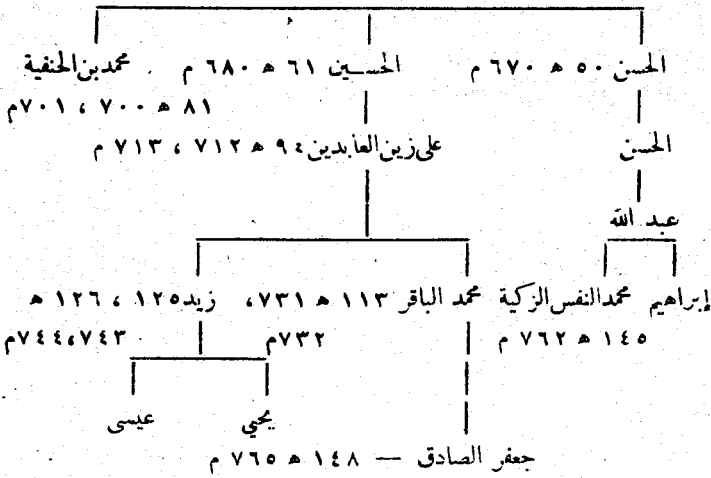
مكذا كانت الاحساء عندما رآها ناصر . وهي صورة يمكن
الاعتماد عليها بوجه عام وان كان في ناحية منها او ناحيتين بعض
الخيال . والنظام الذي يصفه كما هو واضح ليس بجماعية ولكنه
نظام مجتمع وحكومة يختلف كثيرا عن أي نظام معروف في العالم
الاسلامي كله ، وهو نظام ألف تأليفاً حسناً بحيث اثار عداوة
الطبقات الحاكمة وبغضاءها .

* * *

(١) وجدت في ترجمة سياسة نامة (الشائرة) المترجمان .

آل علي

علي توفي ٦٦١ هـ ٤٠ م



الائمة الشيعية الاثني عشرية

الائمة السنيون للاسماعيلية

مصادر الكتاب

أولا : المصادر السنية :

١ - المصادر التاريخية

- أبو الفدا : تاريخ أبي الفدا ، طبعة رايסקه ، خمسة مجلدات هافنيه (كوبنهاغن) ، ١٧٨٩ - ٩٤ .
- أبو المحاسن بن تغري بردى : النجوم الزاهرة : طبعة جنبول ، مجلدان ، ليدن ، ١٨٥٢ - ٥٧ .
- عريب بن سعد : صلة الطبري : طبعة دو خوية ، ليدن ١٨٩٧ .
- حمزة الاصفهاني : سني ملوك الارض والانباء ، طبعة كوفنالت ، مجلدان ، بطرسبرج ١٨٤٤ - ٤٨ .
- ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب : طبعة دوزي ، مجلدان ، ليدن ، ١٨٤٨ - ٥١ .
- ابن خلكان : وفيات الاعيان : طبعة القاهرة . مجلدان ، ١٢٧٥ هـ .
- « ابن خلكان » : ترجمة وفيات الاعيان : ماكرن دي سلين ، ٤ مجلدات باريس ، ١٨٤٢ - ١٨٧١ .

- ابن الاثير : الكامل : طبعة تورنبرج ، ١٤ مجلدا ، لندن ،
١٨٥١ - ١٨٧٦ .

- ابن مالك : كشف أسرار الباطنية : طبعة الكوثري ،
القاهرة ، ١٩٢٩ .

- ابن النديم : الفهرست : طبعة فلوجل ، مجلدان ، ليبزك
١٨٧١ .

- الجندي : في كتاب The yaman : Its Early : H. C. kay
Mediaeval History. London 1892 .

- الجويني : الحشاشون : طبعة ميرزا محمد ، لندن ،
١٩٣٧ .

- المقرئزي : الاعتاظ : طبعة بنز ، ليبزك ، ١٩٠٩ .

- المقرئزي : الخطط : طبعة القاهرة ، مجلدان ، ١٢٧٠ هـ .

- المقرئزي : الترجمة الفرنسية للخطط بعنوان : La doctrine
Secréte des Fatimides d'Egypte كازانوفا في نشرة المعهد
الفرنسي للأثار الشرقية ، المجلد ١٨ .

- المقرئزي : المقفى :

(١) طبعة كاترمير في المجلة الآسيوية ١٨٢٦ بعنوان :

« Memoirs Historiques » .

(٢) طبعة فاكنان بعنوان :

« La Biographie a'Obeyd Allah » Centenariodi Michele
Amari. Il, P. 35-86 Palermo 1910

- السعودي : مروج الذهب : طبعة باربير دي مينار ٩
مجلدات ، باريس ١٨٦١ - ١٨٧٧ .

- المصعودي : التنبيه والاشراف : طبعة دو خويه ، ليدن
• ١٨٩٢

- المصعودي : ترجمته بعنوان :
« La Livre de L'Avertissement »
Carra de Vaux. Paris, 1897

- مسكويه : تجارب الامم : طبعة امدروس ومارجليوث ، ٧
مجلدات ، اكسفورد ١٩٣٠ .

- نظام الملك : سياسة نامه : طبعة (وترجمة) شفر ، باريس
• ١٨٩٧ - ١٨٩١

- النويري : نهاية الارب : مخطوط في باريس ، القسم
العربي ، برقم ١٥٧٦ .

- رشيد الدين : جامع التواريخ : في بحث لليفي بعنوان :
The account of the Ismaili Doctrines in the Gami al
Twarirkh . في مجلة الجمعية الاسيوية .

- السيوطي : تاريخ الخلفاء : طبعة القاهرة ١٣٥١ هـ .

- الطبري : تاريخ الطبري : طبعة دو خويه وجماعته ،
ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١ .

- ثابت بن سنان : تاريخ القرامطة : مخطوط عند المؤلف .

مصادر الكتاب

ب - المصادر الدينية

- عبد الجبار : كتاب تثبيت نية سيدنا محمد : مخطوط في
اسطنبول في مكتبة ، شهيد علي باشا ، برقم ١٥٧٥ .

- أبو المعالي : بيان الاديان : طبعة عباس اقبال ، طهران
١٣١٢ هـ وكذلك في بحث لشفر

Chrétomathie Persanne II , Paris , 1885.

ترجمة H. Marré في مجلة تاريخ الاديان (R.H.R)

- الاشعري : مقالات الاسلاميين : طبعة ريتر ، مجلدان ،
اسطنبول ١٩٢٩ .

- البغدادي : الفرق بين الفرق : طبعة محمد بدر ، القاهرة
١٣٢٨ هـ

- البغدادي : ترجمة كتابه :

(١) لسيلي ، نيويورك ١٩١٩ .

(٢) لهاكن ، تل اييب ١٩٣٥ .

- البغدادي : المختصر : طبعة فيليب حتي ، القاهرة ١٩٢٤ .

- الغزالي : انظر كولدزيهر في القائمة (د) .

- ابن حزم : انظر فريد لندر في القائمة (د) .

- ابن الجوزي : تلبيس ابليس : القاهرة ، ١٩٢٨ ، وانظر
ايضا دي سوموجي في القائمة (د) .

- الايجي : المواقف : طبعة سورنسن ، ليبيك ١٨٤٨ .

- الملطي : كتاب التنبيه والرد : طبعة (ديدرنك)

اسطنبول ١٩٣٦ .

- مطهر بن طاهر المقدسي : كتاب البدء والتاريخ : هوار ،

٦ مجلدات ، باريس ١٨٩٩ - ١٩١٩ .

- الشهرستاني : الملل والنحل : طبعة كرتون ، مجلدان ،

لندن ، ١٨٤٢ - ١٨٤٦ .

- الشهر ستاني : ترجمته لهار بروكر .

ج - مصادر سنية أخرى

- الذهبي : ميزان الاعتدال : القاهرة ، ٥ مجلدات
- الجويري : المختار في كشف الاسرار : القاهرة
- المعري : رسالة الغفران : طبعة هندية في القاهرة ، ١٩٠٣ وترجمتها لنكلسون في مجلة الجمعية الملكية الاسيوية
- السمعاني : كتاب الانساب : ليدن ١٩١٢
- شهاب الدين العمري : التعريف بالمصطلح الشريف : القاهرة ١٣١٢ هـ

ثانيا : المصادر الشيعية :

- آغا بزرك : الذريعة الى تصانيف الشيعة : النجف ١٩٣٦
- الاسترآبادي : منهاج المقال طهران ١٣٠٧ هـ
- الكشي : معرفة الرجال : بومبي ١٢١٧ هـ
- المجلسي : بحار الانوار ، ٢٥ مجلدا ، ايران ١٣٠١ هـ - ١٣١٥ هـ
- المتوكل : حقائق المعرفة ، مخطوط في الخزانة التيمورية في قسم العقائد ، برقم : ٦٨٧
- النوبختي : فرق الشيعة : طبعة ريتر ، اسطنبول ١٩٣١
- القمي : هدية الاحباب : النجف ، ب . ت
- ابن شهر آشوب : معالم العلماء : طبعة عباس اقبال ، طهران ١٩٣٤

- الطوسي : فهرست كتب الشيعة : طبعة شبرنكر ، كلكتا
١٨٥٣ .

- مؤلف مجهول : تبصرة العوام : طبعة عباس اقبال ،
طهران ١٣١٣ هـ .

ثالثا : المصادر الاسماعيلية وما يتصل بها :

(أ) رسائل درزية :

- (١) حمزة : السيرة المستقيمة ، مخطوطة في باريس ، في
القسم العربي ، برقم ١٤٠٨ . وقد نشر بعضها في المقتبس في
القاهرة سنة ١٩١٠ ، المجلد الخامس ، ص ٣٠٤ - ٣٠٦ .

- (٢) المقتنع : رسالة السفر الى السادة : مخطوطة في
القسم العربي ، رقم ١٤٢٤ .

- سيدنا الحسين : كتاب الايضاح والبيان : انظر لويس في
القائمة (رابعا) .

- ابن حوقل : المسالك والممالك : طبعة دي خويه (الاولى) ،
ليدن ١٨٧٣ .

- ابن حوقل : المسالك والممالك : طبعة دو خويه (الثانية) ،
١٩٣٨ .

- ابن مرتضى : الفلك الدوار : حلب ١٩٣٣ .

- جعفر بن منصور اليماني : الشواهد والبيان : مخطوطة في
الخزانة التيمورية ، قسم العقائد برقم ١٧٤ .

- كلام بير : طبعة ايفانوف ، بومبي ١٩٣٥ .

- سميثا الخطاب : غاية المواليد : مخطوط عند الاعظمي .
- ناصر خسرو : سفر نامه : طبعة (وترجمة) شفر ، باريس ١٨٨١ .
- القاضي النعمان : دعائم الاسلام : مخطوط (مدرسة الدراسات الشرقية) ، رقم ٢٥٧٢٥ .
- القاضي النعمان : افتضاح الدعوة : مخطوطة عند المؤلف .
- رسائل اخوان الصفا : القاهرة ، أربعة مجلدات ١٩٢٨ .
- شرف علي : رياض الجنان : طبعة بومبي ١٨٦٠ .
- سنجوري : أم الكتاب : طبعة ايفانوف في مجلة الاسلام (الالمانية) المجلد ٢٣ . وعدد من الدراسات الحديثة المعتمدة على مصادر اسماعيلية لم تطبع بعد ، او مقتبسة منها سنذكرها ضمن القائمة التالية .

رابعاً مصادر حديثة : MODERN WORKS.

- Asin palacios . Logia et Agrapha . paris , 1916 - 25 .
Abenmasarra y su Escuela. Madrid, 1914.
- Becker , C. H. Beitrage zur Geschichte Aegyptens .
Strassburg , 1903 .
- Blochet, E. le Messianisme dans l'Heterodoxie
Musulmane . paris , 1903.
- Caetani, L. Annali dell'Islam . 1905 ff . Une Date
Astronomique dans les Epitres des Ikhwan as-Safa,
J. A., 1915. See also Maqrizi in list A.
- Darmesteter, J. Le Mahdi . paris , 1885 .

- Dussaud. *Histoire et Religion des Nosairis*. paris , 1900 .
- Eghbal, A. *Khanedane Newbakht*. Teheran, 1311.
- Fischel, W. J. *Jews in the Economic and political Life of Medieval Islam*. London .
- Friedlander, I. *The Heterodoxies of the Shi'a*. I and II. J.A.O.S., 1907-9.
- Fyzee, Asaf A.A. - *Qadi an-Nu'man* J.R.A.S., 1934 .
- *A List of Musta'lian Imame*. J.B.B.R. A.S. 1634.
- DE Goeje, M. J. - *La Fin de l'Empire des Carmathes*. 1934.
- *Mémoire sur les Carmathes*. Leyden, 1886.
- Goldziher , I. *Streitschrift des Gazali gegen die Batinijja-Lekte*. Leyden, 1916.
- Goldziher, I. *Muhammedaische Studien*. Halle, J.A., 1895.
- Griffini, E. *Die Jüngste Ambrosianische sammlung*. Z.D.M.G., 1915.
- Guyard, S. *Fragments Relatifs à la Doctrine des Ismaélis* . paris . *Notices et Extraits*, Vol XXII .
- Guidi, M. - *Storia Della Religione dell, Islam Turin*, 1939.
- *Ogine dei Yazidi Zazidi e Storia Religiosa dell' Islam*. R.S.O., 1032.
- Hamdani, H. - *Some unknown Isma'ili Authors and their Works*. J.R.A.S., 1033.
- *The Rasa'il Ikhwan as-Safa* . Der Islam XX.

- A Compendium of Isma'ili Esoterics Islamic Culture, XI.
- Ivanew, W. - A Creed of the Fatimids. Bombay, 1936.
 - A Guide to Isma'ili Literature, London , 1933.
 - An Ismailitic Work by Nasiru'd-Din Tusi J.R.A.S., 1931.
 - Ismailitica . M.A.S.B., 1922, VIII.
 - Isma'ilia. Article in El supplement.
 - Notes sur l'Ummu'I-Kitab. R.E.I., 1932.
- Kraus, P. - Les « Controverses » de Fakhr al-Din Razi. B.I.E., XIX.
 - La Bibliographie Ismélienne. R.E.I., 1932.
 - Hebrische und Syrische Zitate. Der Islam XIX.
 - Raziana II. Orientalia , V.
- Lewis, B. - The Islamic Guilds. Economic History Review , 1937.
 - Ismaili Interpretation of the Fall of Adam , B. S. O. S. 1938 .
- Manour, P. H. Polemics on the origin of the Fatimi-Caliphs London 1924 .
- Massignon, L. - Salman Pak et les Premices Spirituelles de l'Islam Iranien. Paris 1934.
 - Karmatians, Article in El.
 - Les Origines Shi'ites de la Famille Vizirale des Banu'l-Furat. Melanges Gauthier-Demombynes Cairo, 1935.

- **Explication du Plan de Kufa. Melanges Maspéro, III. Cairo, 1935.**
- **Mutanabbi devant le Siècle Ismaëlien de L'Islam. Mémoires de l'Institut Français de Damas-al-Mutanabbi. Beirut, 1936.**
- **Esquisse d'une Bibliographie Carmathe, Browne Memorial Volume. London, 1922.**
- **Ritter, H. Philologica. Der Islam XVIII.**
- **De Sacy, S. Exposé de la Religion des Druzes. 2 vols. Paris, 1838.**
- **Sadighi, G. H. Les Mouvements Religieux Iraniens . Paris , 1938.**
- **Snouck Hurgronje. Der Mahdi. Verspride Geschriften, I Bonn, 1923.**
- **De Somogyi, J. A Treatise on the Carmathians R.S.O., 1932.**
- **Tritton, A. S. - Notes on some Ismaili Mss. B.S.O.S., VII.**
- **A Theological Miscellany B.S.O.S., IX.**
- **Van Vloten, G. Recherches sur la Domination Arabe, Amsterdam , 1894.**
- **Wellhausen, J. - Die Religiös-politischen Oppositionen parteien. Berlin, 1901.**
- **Skizzen und Vorarbeiten. VI. Berlin, 1889.**
- **Umestenberg, F. Geschichte der Fatimiden-Chalifen. Gottingen, 1881.**

وهذه أشارات وردت في حواشي الكتاب رأينا أن نثبت
دلالتها ليهدي إليها القارئ .

B I E. Bulletin de L'Institut d'Egypte.

B I F A O. Bulletin de L'Institut Français d'Archéologie Orientale .

B. S. O. S. Bulletin of the school of Oriental Studies.

E I. Encyclopedia of Islam .

J. A. Journal Asiatique .

J. A. O. S. Journal of the American Oriental Society.

J. B. B. R. A. S. Journal of the Bengal Branch of the
Royal Asiatic Society.

J.R.A.S. Journal of the Royal Asiatic Society.

M. A. S. B. Memoirs of the Asiatic Society of Bengal .

R.H.R. Revue de l'Histoire de Religions .

R. E. I. Revue des Etudes Islamiques.

R. S. O. Rivista degli studi Orientali.

Z. A. Zeitschrift für Assyriologie.

Z. D. M. G. Zeitschrift der Deutschen Morgenlän-
dischen Gesellschaft.